ديوان

مجنون ليلى

جمع وترتيب

أبي بكر الوالبي

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

ديوان
مجنون ليلى

جمع وترتيب
الأديب العالم
أبي بكر الوالبي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمكتبة الآداب [علي حسن]

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٣٩١٩٣٧٧
٤٢ ميدان الأوبرا ت ٣٩٠٠٨٦٨
المطبعة النموذجية
٦ سكة الشابوري بالخلمية الجديدة

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٢٣٧/ لسنة ١٩٨٧

قورنت هذه الطبعة بطبعتى

— الحلبي ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م
— المطبعة الشرقية بدون تاريخ
— أشعار المجنون فى الأغانى

مقدمة أولى

فى شعر الغزل العذرى وحقيقة المجنون

ديوان مجنون ليلى الذى بين أيدينا ديوان فى الغزل العذرى ؛ وهو الغزل النقى الطاهر الذى ينسب إلى قبيلة بنى عذرة إحدى قبائل قضاعة التى كانت تنزل فى وادى القرى شمالى الحجاز ، ذلك أن فتيانها تميزوا بذلك الشعر حتى أطلق على كل شعر عفيف يقتصر على شدة العواطف، لا تدنسه أى لذات حسية فى وصف المحبوبة .

ثم انتشر ذلك الشعر ولم يقتصر على بنى عذرة ، بل امتد إلى قبائل بوادى نجد والحجاز ؛ وخاصة بنى عامر . ويرجع الدكتور شوقى ضيف انتشار الشعر العذرى بين تلك القبائل البدوية إلى الطبيعة البدوية الصافية التى جاء الإسلام فرققها ولطفها ونقاها ، وإلى بعد تلك القبائل عن ترف المدن وتحللها ومجتمعاتها الماجنة اللاهية . ويبالغ الدكتور زكى مبارك فيلحق هذا الشعر بشعر التصوف ويحشر المجنون وأمثاله فى زمرة المتصوفين ! ...

وأياً ما كان فقد ذاع الشعر العذرى وتناقلته الأفواه فى أوائل عهد

الدولة الأموية ، فكان تنفيساً للمسلمين عن جو النزاعات السياسية والمؤامرات والدسائس ، أو تكفيراً عن مجتمعات الشراب واللهو والمجون والشعراء الماجنين أمثال عمر بن أبي ربيعة والأحوص وغيرهما ... ومن أشهر شعراء الغزل العفيف قيس ابن ذريح ومعشوقته لبنى الخزاعية ، وجميل بن مَعْمَر ، ومعشوقته بثينة ، وراويته كثير ومعشوقته عزة ، وعروة بن حزام وصاحبته عفراء ، والضمة القشيرى وابنة عمه ريا ، وعبد الرحمن الجشمى وكان من نسّاك مكة وعشقه سلاّمه حتى سماها الناس سلاّمة القس . وظهر كذلك شعر لمشوقات يتغزلن بمشوقهن أو يبكين فقده مثل ليلى الأخيلية وشعرها فى توبة ابن الحمير .

إذن فشعر الغزل كان حقيقة وأصحابه كانو أشخاصاً حقيقيين لم ينسجهم خيال الرواة ، ولكن الذى لاشك فيه أنه لفرط شعبية ذلك اللون من الشعر وكثرة تناول الألسن له نسج حوله ما ليس منه من روايات وعقد وصراعات مزعومة ونُسب لشعرائه ما لم يقولوه لحبك القصة . بل يذهب معظم مؤرخى الأدب والشعر إلى أن بعض شعراء ذلك اللون الشعرى لم يوجدوا على الإطلاق . فصاحب الأغانى أبو الفرج ينسب إلى الأصمعى قوله « رجلان ما عرفا فى الدنيا قط إلا بالإسم : مجنون بنى عامر وابن القريّة » وينسب إلى ابن الكلبى قوله « حُدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بنى أمية كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ، وقال الأشعار التى يرويها الناس له ونسبها إليه » .

ولكن ابن قتيبة فى كتابه « الشعر والشعراء » ص ٣٥٥ يؤكد لنا حقيقة المجنون فيقول عنه : « هو قيس بن معاذ ويقال قيس بن الملوح أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . . . . . ولقبه المجنون لذهاب عقله لشدة عشقه ، وكان الأصمعى يقول « لم يكن مجنوناً ولكن كان فيه لوثة كلوثة أبى حية» ثم يضيف ابن قتيبة :«وهو من أشعر الناس على أنهم نحلوه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره كقول أبى صخر الهذلى :

أما والذى أبكى وأضحك والذى أمات وأحيا والذى أمره الأمر

وكقول أبى عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة :

بينما نحن من بلاكث بالقا ع سراعاً والعيس تهوى هويّا

ثم يمضى ابن قتيبة بعد ذلك يسرد لنا قصة قيس وعشقه ليلى منذ الصغر ، ثم إعراضها عنه لتشبيبه بها ، ثم جنونه وكثرة إغمائه ، ثم مرور نوفل بن مساحق عليه وهو فى حاله تلك ، وسعيه فى خطبة ليلى له من أهلها ، وخروجهم عليه بالسلاح . . .

ثم يحدثنا ابن قتيبة بأمر ليلى وحبها المكتوم لقيس وسؤالها عنه من يمر بها وشعرها فيه . ثم يذكر لنا ما أشار به الناس على أبى المجنون بأن يخرج إلى مكة لعل الله يشفيه ولكن ذلك العلاج لم يفلح . . . ولا يذكر ابن قتيبة خبر موت المجنون أو موت ليلى، ولكنا نفارق قيساً يهيم فى الفلوات عرياناً مهزولاً زائغ النظرات .

أما المستشرق الكبير كارل بروكلمان فيقول فى الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى « قيس بن الملوّح مجنون بنى عامر : قيل إنه توفى حوالى سنة ٧٠ هـ/٦٨٩ م (ص ١٩٤) . ثم يأتى فى ص ٢٠٠ من نفس الكتاب فيقول « إن أخبار قيس ليست إلا حلقة من القصص الغرامية التى نسجت على منوال قصة حب جميل وبثينة الحقيقية . بينما قيس وليلى لم يكونا إلا من أبناء الخيال . »

ويزودنا المستشرق الكبير بمصادر ديوان المجنون وهى :

«ديوان المجنون [مخطوطة] فى : كمبردج أول ٤٢٨ ، لالى ١٩٨٤ ؛ آيا صوفيا ٣٧٨٨ طبعتو ٢٤٦٩ ، فيض الله ١٦٠١ (برواية الوالبى) .

وطبع ديوانه فى بولاق ١٢٨٥ هـ ، ثم فى القاهرة ١٢٩٤ هـ ، ثم ١٣٠٦ هـ ، ثم ١٣٤١ هـ »

ونهج الدكتور طه حسين فى حديث الأربعاء نهج المتشككين فى حقيقة قيس ، وتبعه كذلك كثير من مؤرخى الأدب فى العصر الحديث .

عبد اللطيف على أبو حليمه

مقدمة ثانية

فى أبى بكر الوالبى راوى ديوان مجنون ليلى

محاولة تعريف بشخصيته

بقلم / عبد الرحيم يوسف الجمل

حفل الكتاب الذى بأيدينا بالعديد من الشخصيات التى ضنّت علينا كتب التراجم بمعلومات عنهم مثل أبى الحسن العلوى ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن صالح وغيرهم .

لهذا سوف نتتبع نوعا من الاستقراء فى محاولة للتعرف على شخصية أبى بكر الوالبي الذى أعيانا البحث عن ترجمة له أو كتب أخرى قام بتأليفها ! ولكن من خلال البحث نذكر أن هذا المؤلّف هو الكتاب الوحيد للوالبي .

وعن هذا الكتاب جاء فى الفهرست لابن النديم ص ٤٢٥ جملة من أسماء الكتب التى ألفها أصحابها فى سير العشاق من بينها كتاب مجنون ليلي ، وقد فرغ ابن النديم من تأليف فهرسه فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وإخال أن كتاب المجنون الذى جمعه الوالبي هو المقصود

ذكره فى الفهرست ، لأننا لم نعرف كتابا مستقلا عن المجنون غيره فى فترة ما قبل تأليف الفهرست .

ثم اعتمد الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فى جمعه لديوان المجنون على مادوّنه أبو بكر الوالبي وهذا دليل على أهمية هذه الرواية إلى حد تسجيل بعض الأشعار المشكوك نسبتها إلى المجنون ولكنها وردت فى ثنايا الكتاب .

* أما الوالبي نفسه فقد اعتمد على روايات كثيرة نقلها فى كتابه ، وسنكتفى ببعضها والتى تعيننا فى تحديد الفترة الزمنية التى عاشها الوالبي :

الرواية الأولى :

« حدثنا أبو عمرو الشيبانى قال: حدثنا نوفل بن مساحق» (ص٨٨)

وأبو عمرو الشيبانى لغوى من نحويى الكوفة توفى سنة ٢١٠ هـ وفى رواية أخرى ٢٠٦ هـ

وتدل الرواية المذكورة أن الوالبي سمع أبا عمرو ولقيه فى نهاية القرن الثانى الهجرى أو فى أوائل القرن الثالث الهجرى .

الرواية الثانية :

نقلها الوالبي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ بقوله ص ٩٢ :

« حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى قال . . . »

ونرجح أن هذه الرواية كانت فى بداية القرن الثالث الهجرى .

الرواية الأخيرة :

عن الحسن بن سهل المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ذكر الوالبي (ص ٩٦) :

« قال الحسن بن سهل : أنشدنى أحمد بن إسماعيل الكاتب الليلى العامرية » .

وهذه الرواية سمعها الوالبي قبل أن يصاب الحسن بن سهل بالسوداء فى عام ٢٠٣ هـ وهى مرض الماليخوليا الذى أصابه نتيجة حزن شديد حتى شد فى الحديد ومات لغلبتها عليه .

وهناك ملاحظة نستقرؤها من خلال الكتاب الذى يخلو من ترتيب قوافيه ورواياته أن الوالبي جمعه من خلال ما توفر لديه من معلومات وروايات فجاءت الروايات السابقة متأخرة عن الروايات الأخرى ، وهذه دلالة على وصولها إليه متأخرة فأوردها فى كتابه حسب وصولها إليه فى نهاية القرن الثانى وبداية الثالث الهجرى .

ولهذا نختلف مع ما ذكره الأستاذ عبد الستار أحمد فراج أن الوالبي كان من رجال أواخر القرن الثانى الهجرى ، ونتوسع قليلا بعد أن أوردنا الروايات السابقة أن نرجح أن الوالبي كان حياً فى أوائل القرن الثالث الهجرى ، الذى يزخر بالعديد من الشخصيات الأدبية ، وقد ضاع ذكر بعضهم ومن بينهم الوالبي نفسه .

ولكن بالبحث وجدناه مذكوراً فى كتابين :

الأول : كتاب الأمالى لأبى على القالى (٢ | ١٤٢) « قال وأخبرنى عبد الله بن خلف ، قال أخبرنى أحمد بن زهير ، قال أخبرنى مصعب بن عبد الله الزبيرى ،عن بعض أهله، عن أبى بكر الوالبى » .

الثانى : كتاب بسيط سامع المسامر فى أخبار مجنون بنى عامر لمحمد بن طولون الدمشقى ت ٩٥٣ هـ (ص٣٩) :

« حدثنا التنوخى ، حدثنا ابن حيويه ، حدثنا ابن المرزبان ، حدثنا محمد بن خلف ، أخبرنى أبو بكر العامرى عن عبد الله بن أبى كريم عن أبى عمرو الشيبانى عن أبى بكر الوالبى » .

وهاتان الروايتان تدلان على معرفة رجال السند بالكاتب أو بالرواية ، وكان من الممكن أن نجد المزيد من هذه المعلومات لولا ضياع وفقد ، الآلاف من المخلوطات إبّان الغزو المغولى للبلاد العربية والغزو الإستعمارى للبلاد الإسلامية بعد ذلك .

وقد تمدنا المخطوطات المحفوظة فى دهاليز المكتبات ونجهلها بالمعلومات عن شخصيات أدبية ما زالت مجهولة إلينا ومن بينهم الوالبى نفسه الذى نرجح وفاته فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى .

والله أعلم ؟

فهـــرس الأعلام

(ا)

	ص
أحمد بن إسماعيل الكاتب	٩٦
إسحق بن إبراهيم الموصلي	٩٢
أبو إسحق بن الهيثم	٨٥

(ج)

أبو جائع لبيد بن عنبسة	٩٦
جرير بن الخطفى	٢٤
جميل بن معمر	٥١

(ح)

الحسن بن سهل	٩٦
أبو الحسن العلوى	٣٢

(ع)

عبد الملك بن مروان	١٩
على بن صالح	٤٩
أبو عمرو الشيبانى	٧٣و٨٨

ص

أبو عيسى بن الرشيد ٤٩ و ٥٢

(ق)

قيس بن ذريح ١٠٤ و ١٠٨
قيس بن معمر ٩٥

(ك)

كثير بن عبد الرحمن ١٩

(م)

أبو مسكين ٩
موسى بن جعفر ٤١

(ن)

نوفل بن مساحق ٦٦ و ٨٨

ملحوظة : فى هذا الفهرس تجاوزنا عن ذكر قيس بن الملوح ، وليلى والوالبى ، وما ورد فى الهوامش.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين .

قال أبو بكر الوالبي : اختلف فى اسم مجنون بنى عامر(١): هل هو عامر(٢) أو مهدى أو الأقرع أو معاذ أو قيس ابنه أو ابن الملوّح أو البحترى بن الجعد ؟ والصحيح الأول . وفى نسبه : هل هو عامرى أو كلابى أو جعدى أو قشيرى ، أو المجانين متعددة ، أو هما اثنان فى بنى عامر ؟ والصحيح الأول .

وكان من حديثه : أنه كان صغيراً ، وليلى(٣) وهى ابنة عمه كانت

---

(١) فى نسخة : « فى اسم المجنون » .

(٢) فى نسخة : « هل هو قيس » .

(٣) ليلى : جاء فى الأغانى ج ٢ ص ٥ دار الكتب : « أخبرنى الأخفش . قال : ليلى صاحبة المجنون هى ليلى بنت سعد بن مهدى =

صغيرة أيضا ، فكانا يجتمعان فى بَهم (أى أغنام لهما[1]) يتحدثان وهما صغيران ، فلما شبا وكبرا جعل حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة .

قال : وكانت ليلى بصيرة بالشعر والأدب ووقائع العرب فى الجاهلية والإسلام ، وكان فتيان بنى عامر يجلسون إلى ليلى ويتناشدون عندها الأشعار ، وكان قيس فيمن يجلسون إليها ، فلم يكن فى بنى عامر فتى أحبّ إليها ولا أكرم عليها منه ، حتى إذا بدت حاجة لفتى فى بنى عامر إلى ليلى توسل بالمجنون إليها ، فلم يزالا كذلك برهة من الدهر حتى فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما ، فلما كان ذات يوم سألها قيس حاجة لنفسه ، لينظر هل له فى قلبها مثل الذى فى قلبه لها ، فمنعته حاجته ، فاغرورقت عيناه لمنعها إياه حاجته فأنشأ يقول :

مضى زمن والناس يستشفعون بى ... فهل لى إلى ليلى الغداةَ شفيعُ
يُضَعِّفُ حبيكِ[2] حتى كأننى ... من الأهل والمال التليد نَزيعُ
إذا ما لحانى العاذلاتُ بحبها ... أبتْ كبدى مما أُجِنُّ صَديعُ[3]

= ابن ربيعة بن الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، كنيتها أم مالك كما سيردْ فى شعره .

(١) الصحيح أن البهم جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الضأن والمعز .

(٢) حبيك : أى حبى لك ، التليد : الموروث ، نزيع : خال .

(٣) لحانى : أى لامنى ، أجن : بكسر : أخفى ، صديع ، من صدع بالحق إذا تكلم به .

مدى الدهرِ أو يندى الصفا مِن متونه
ويُشعَب من كسر الزجاج مُصدوع(١)

وحتى دعانى الناسُ أحمقَ مائقا(٢) وقالوا تَبوعٌ للضلال مطيعُ
وكيف أطيع العاذلات وحبها يؤرقنى والعاذلات هُجـــوع

وقال أيضاً :

تعلقتُ ليلى وهى غِر صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهمَ يا ليت أننا
إلى اليوم لم نكبر(٣) ولم تكبر البهمُ

فأجابته ليلى وهى باكية لما سمعت شعره :

وكلٌّ مظهـــرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عنـــد صاحبه مَكينُ
تُخبرنا العيونُ بما أردنا وفى القلبين ثَمَّ هوىً دفين(٤)

---

(١) الصفا : جمع صفاة وهى الصـــخر أو موضع بمكة ، يشعب : يتفرق .

(٢) مائقا : اسم فاعل من مأق وهو الفواق وسط شدة النشيج .

(٣) فى النسخة التى طبعنا عنها « إلى اليوم نكبر» وصحته كما أثبتناه .

(٤) أورد صاحب كتاب الأغانى قصة هذين البيتين وخلاصتها أن ليلى أرادت أن تختبر حب قيس لها فأظهرت اهتمامها بفتى آخر ، فامتقع لون قيس وأغشى عليه فعرفت بحبه المكتوم ، وقالت البيتين تؤكد له حبها أيضا .

فلما سمع مقالتها خر مغشياً عليه، فلما أفاق قال :

صريعٌ من الحب المبرِّحِ والهوَى وأىُّ فتىً مِن عِلةِ الحب يسلم

ففطن جلساؤه عند ذلك فأخبروا أباها ، فحجبوها(١) عنه وعن سائر الناس، وقدموه إلى السلطان فأهدر السلطان دمه إن هو زارها .

فلما حجبت عنه أنشأ يقول :

ألا حُجبتْ ليلى وآلَى أميرها علىَّ يميناً جاهلا لا أزورها

وأوعدَنى فيها رجالٌ أبوهُمْ أبى وأبوها خشنت لى صدورُها

على غير شىء غيرَ أنى أحبها وأن فؤادى عند ليلى أسيرها

وإنى إذا حَنتْ إلى الإلف إلفُها

هفا بفؤادى حيث حَنَّتْ سَحورها

ثم إنه لما اشتهر بحبها وابتلى، قام أبوه وإخوته وبنو عمه وأهل بيته فأتوا أبا ليلى وسألوه بالرَّحم والقرابة والحق العظيم أن يزوجها منه ، وأخبروه أنه ابتلى بها . فأبى أبو ليلى ولج وحلف وقال : والله لا حدَّثتْ العربُ أنى زوجت عاشقا مجنونا . فأقبل الناس إلى أبى المجنون وقالوا له : لو أخرجته إلى مكة فعوذته بيت الله الحرام لعل

---

(١) فى نسخة : « فحجبها عنه ... وقدمه » .

الله يعافيه مما ابتلى به ! . فأخرجه أبوه إلى مكة وهما راكبان جملا فى محمل ، فلما قدما مكة قال له أبوه : « يا قيس ! تعلق بأستار الكعبة » ففعل ، فقال : قل اللهم أرحنى من ليلى وحبها ، فقال : « اللهم منّ علىّ بليلى وقربها » فضربه أبوه ، فأنشأ يقول :

يا رب إنك ذو مَنٍّ ومغفرة ... بَيِّتْ بعافيـــةٍ ليلَ المحبينا
الذاكرين الهوىَ من بعد ما رقدوا ... الساقطين على الأيدى المُكبينا
يا رب لا تسلبنى(١) حبها أبداً ... ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال أيضا :

دعا المحرمون اللهَ يستغفرونه ... بمكةَ شعثاً كى تُمحا عنها ذنوبها(٢)
وناديتُ يا رحمنُ أوّلَ سؤلتى ... لنفسىَ ليلى ثم أنت حسيبها
وإن أُعطَ ليلى فى حياتىَ لم يَتُبْ ... إلى الله عبدٌ توبةً لا أتوبها
يَقِرّ لعينى قربُها ويزيدنى ... بها عجباً مَن كان عندى يعيبها
وكم قائلٍ قد قال تبْ فعصَيته ... وتلك لعمرى خلةٌ لا أصيبها
وما هجرَتْكِ النفسُ يا ليلى أنها
قَلَتْكِ ولكن قلّ منكِ نصيبها

---

(١) فى نسخة « لا تسلبنّى » .
(٢) وفى نسخة « كى تمحا ذنوبها » .

فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمى بأول نفسٍ غاب عنها حبيبها

فلما سمع أبوه هذه الأبيات رق له ، فأخذه بيده نحو مِنىً يريد رمى الجمار ، فبينما هو بمنى إذ سمع منادياً ينادى من بعض تلك الخيام « يا ليلى»، فخر مغشياً عليه، واجتمع عليه قومه ، وأبوه باك حزين ، فأفاق وهو مصفر اللون وأنشأ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيفِ من مِنى
فهيَّج أحزانَ الفؤادِ وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما أطار بِلبي طائراً كانفى صدرى
دعا باسم ليلى أسخن اللهُ عينَه وليلى بأرض الشام فى بلد قفر
عرضتُ على قلبي العزاء فقال لى
مِنَ الآنَ فاجزع لا تَمَلَّ من الصبر
إذا بان مَن تهوى وشطّ به النوى ففرقة مَن تهوى أحرّ من الجمر

وقال :

أيا ليلَ زَند البين يقدَح فى صدرى(١)
ونار الأسَى ترمى فؤادِىَ بالجمر

---

(١) شبه البين بحجر يقدح بآلة فيتطاير الشرر منه .

أبى حدثان الدهـــر إلا تشتتاً
وأىُّ هوًى يبقى على حدث الدهر

تعزَّ فإن الدهر يجرح فى الصفا ويقدح بالعصرين فى الجبل الوعر
وإنى إذا ما أعوز الدمعُ أهله فزعتُ إلى دلحاء دائمة القطر(١)
فوالله ما أنساكِ ما هبت الصبا(٢) وما ناحت الأطيار فى وضح الفجر
وما نطقتْ بالليـــل سارية القطا
وما صدحتْ فى الصبح غادية الكُدْر(٣)
وما لاح نجمٌ فى السماء وما بكت مطوّقةٌ شجواً على فنن السِّدر(٤)
وما طلعت شمسٌ لدى كل شارقٍ وما هطلت عينٌ على واضح النحر
وما اغطوطش الغربيب واسودّ لونه
ومامرّ طولَ الدهر ذكرُك فى صدرى(٥)

---

(١) الدلحاء : السحابة ، دائمة القطر : دائمة المطر ، وهى كناية عن عينه .
(٢) الصبا : ريح تهب من الشمال ، وضح : ضوء .
(٣) سارية القطا : الطير المسافر بالليل ، غادية الكدر : الطيور الملونة الآتية فى الصباح .
(٤) المطوقة : الحمامة ، فنن : الغصن ، السِّدر : شجر النبق .
(٥) اغطوطش : اشتد سواده ، الغربيب : الغراب الشديد السواد .

وما حملتْ أنثى وما خبَّ ذعلبٌ وما طفح الآذِيُّ في لُجَجِ البحر(١)

وما زحفتْ تحت الرحال بركبها

قِلاص تؤمُّ البيتَ في البلد القفر(٢)

فلا تحسبي يا ليلى أني نسيتكم

وأنْ لستِ مِني حيث كنتِ على ذكر

أيبكي الحمامُ الوُرق مِن فقد إلفة وتسلو وما لِيَ عن أليفي من صبر

فأقسمُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارق وما خبَّ آلٌ في مُعلَّمةٍ قفر(٣)

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً أناجيكم حتى أرى غُرةَ الفجر

لقد حملتْ أيدي الزمانِ مطيتي

على مركبٍ مستطيل الناب والظفر(٤)

فلما سمع أبوه هـــذه الأبيات أخذ بيده إلى محفل من الناس

---

(١) خب : سار سيراً ، ذعلب : الناقة ، الآذي : موج البحر .

(٢) قلاص : جمع قلوص وهي الناقة ، تؤم : تقصد ، البيت : أي البيت الحرام ، البلد القفر : مكة .

(٣) ذرَّ : تفرق وانتشر ، شارق : أي الشمس ، خب : سار ، آل : سراب ، معلمة قفر : صحراء قاحلة .

(٤) كأنما الزمان يسوق المجنون وكأنه ناقة تساق ، مستطل الناب والظفر : ليس له ناب ولا ظفر .

فسألهم أن يدعوا الله تعالى له بالفرج ، فلما أخذ الناس فى الدعاء أنشأ يقول :

ذكرتكِ والحجيج لهم ضجيجٌ ... بمكةَ والقلوبُ لها وَجيبُ
فقلتُ ونحن فى بلدٍ حرام ... به للهِ أخلصت القلوب
أتوب إليكَ يا رحمنُ مما ... عملتُ فقد تظاهرتْ الذنوب
فأمّا مِن هوى ليلى وتركى ... زيارتَها فإنى لا أتوب
وكيف وعندَها قلبى رهينٌ ... أتوب إليكَ منها أو أنيب

وعن أبى مسكين قال : خرج رجل منا حتى إذا كان بموضع يقال له بئر ميمون ، إذ هو بجماعه فى ذرى جبل، وإذا فتى قد تعلقوا به كأحسن ما يكون من الرجال وأجملهم يريد أن يرمى بنفسه من أعلى الجبل غير أنه مصفر اللون ناحل البدن وهو يقول :

لقد هَمّ نيس أن يزُج بنفسه ... ويرمى بها من ذِروة الجبل الصعب
فلا غرو أنّ الحبّ للمرء قاتلٌ ... يُقلبه ما شاء جَنباً إلى جنب
أناخ هوى ليلى به فأذابه(١) ... ومَن ذا يطيق الصبرَ عن مَحمل الحب
فيسقيه كأسَ الموت قبل أوانه ... ويُورده قبل المماتِ إلى الترب

---

(١) أناخ هوى ليلى : شبه هوى ليلى بناقة جشمت على صدره. وفى نسخة « فإذا به » .

قال : فسألت عنه فقيل هذا مجنون بنى عامر أخرجه أبوه إلى هذا الجبل يستقبل الريح التى تهب من ناحية نجد ، ويكره أن يخليه فيرمى بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوتَ منه فأخبرتَه أنك قدمتَ من ناحية نجد ، فتقدَّمْ إليه فلعله ينزل من الجبل ، قلت نعم ، فدنوت منه ، فقالوا يا أبا المهدى هذا رجل قدم من ناحية نجد ، قال فتنفس الصعداء حتى ظننت أن كبده تصدعت ، ثم جلس يسألنى عنها وعن بلاد نجد ، فأقبلت أحدّثه وأصفله ، وهو يبكى أشد بكاء وأوجعه للقلب ، ويقول :

ألا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابها وأرواحها إنْ كان نجد على العهد

ألا ليت شِعرى عن عويرِضَتَىْ قُبا

لِطولِ التنائى هل تغيرتا بعدى(١)

وعن أقحوان الرمل ماهو فاعلٌ إذاهوأمسى ليلةً بثرى جعْد(٢)

وعن جارَتينا بالبتيل إلى الحمى على عهدنا أم لمْ تدوما على عهد(٣)

---

(١) عويرضتى قبا : عوارضة وقنا جبلان لبنى فزارة (الأغانى) .

(٢) الأقحوان : البابونج وهو نبت طيب الريح ورقة أبيض ووسطه أصفر ، ثرى جعد : تراب ندٍ .

(٣) البتيل : جبل بنجد ، تدوما : وفى نسخة « يدوما » .

وعن عُلوِيات الرياح إذا جرت

بريح الخزامى[1] هل تَهبُّ إلى نجد

وهل تَنْفضَنَّ الريحُ أفنان لِمَّتى

على لاحقِ الإطلين منذلقِ الوَخد[2]

وهل أسمعنَّ الدهرَ أصوات هجمةٍ

تُطالع مِن وهدٍ خصيب إلى وهد[3]

قال: فأقبل أبوه بعد أن قضى نسكه يريد أهله، فلما قدم جمع أعمامه وأخواله فلاموه وعذلوه وقالوا «لا خير لك فى ليلى ولا لها فيك، وقد رُددنا عنها، ولك فى بنات عمك من هى خير لك منها، فلو تزوجت واحدة منهن نرجو أن يزول عنك بعض ما بقلبك من حبها، فأنشأ يقول:

---

(١) علويات الرياح: الرياح التى تهب من العالية وهو موضع بين نجد وتهامة.

(٢) اللمة بالكسر: الشعر الذى يجاوز شحمة الأذن، لاحق الإطلين: ضامر، المتنين جنبي الظهر، هى كناية عن الخيل الأصيل، منذلق الوخد: أى سريع واسع الخطى يقال جمل واخد أى واسع الخطا.

(٣) فى نسخة «هجعة»، والهجمة: العدد الكبير من الإبل يسير معاً، وهدٍ: الأرض السهلة.

لقد لامنى فى حب ليلى أقاربى[1] أبى وابن عمى وابن خالى وخاليا
يقولون ليلى أهلُ بيت عداوة بنفسىَ ليلى مِن عدوٍ ومالِيا
أرى أهلَ ليلى لا يريدون بيعها بشىءٍ ولا أهلى يريدونها لِيا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوقِ والإبعادِ منها قضى ليا
قسمتُ الهوى نصفين بينى وبينها فنصفٌ لها هذا لهذا وذا ليا
ألا يا حمامات العراق أعِنَّنى على شجنى وابكين مِثلَ بكائيا
يقولون ليلى بالعراق مريضة فياليتنى كنتُ الطبيبَ المداويا
فشاب بنو ليلى وشاب ابن بنتها وحُرقة ليلى فى الفؤاد كما هيا
علىّ لئن لاقيتُ ليلى بخلوةٍ زيارةُ بيتِ الله رِجلاى[2] حافيا
فيارُبَّ إذ صيَّرتَ ليلى هى المنا فزِنِّى بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبَغِّضْها إلىّ وأهلَها فإنى بليلى قد لقيتُ الدواهيا
يلومون قيساً بعد ما شفَّهُ الهوى
وبات يراعى النجمَ حيرانَ باكيا
فياعجباً ممن يلوم على الهوى فتىً دِنِفاً أمسى من الصبر عاريا[3]

---

(١) وفى نسخة « أقاربى » .
(٢) فى نسخة : « رَجْلانَ » : أى سائراً على الأقدام .
(٣) دنفا : مريضاً مرضاً ملازماً ، من الصبر عارياً : أى نفذ صبره .

ينادى الذى فوق السموات عرشُه ... ليكشفَ وَجداً بين جنبيه ثاويا
يبيتُ ضجيعَ الهم ما يطعمُ الكرى ... ينادى إلهى قد لقيتُ الدواهيا
بساحرة العينين كالشمس وجهها ... يُضىء سناها فى الدُّجى متساميا

قال : فلما سمعوا مقالته أسمعوه مايكره، فمر على وجهه آسيا مهموما حزيناً متفكراً يتفكر فى أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب ، وترك محادثة الناس وصار فى حدٍ يرحمه من رآه من عدو وصديق، فقال :

ما بالُ قلبكَ يا مجنونُ قد هلعا ... من حبِ مَن لا ترى فى وصلها طمعا
الحب والعشق سيطاً من دَمى لهما ... فأصبحا فى فؤادى نابتَين معا(١)
طوبىَ لمن أنتِ فى الدنيا قرينته ... لقد نفَى اللهُ عنه الهمَّ والجزَعا
بلْ ما قرأتُ كتاباً منكِ يبلغنى ... إلا ترقرق ماءُ العين أو دَمعا
أدعـــو إلى هجرها قلبى فيتبعنى ... حتى إذا قلتُ هذا صادقٌ نزَعا
لا أستطيع نزوعا عن مودتها ... ويصنع الحب بى فوق الذى صَنعا
كم من دنىء لها قد كنتُ أتبعه ... ولو صحَّ(٢) القلب عنها كان لى تبعا
وزادنى كلفاً فى الحب أن مُنعتْ ... أحَبُّ شىء إلى الإنسان ما مُنعا

---

(١) سيطا : أى تكونا بامتزاجهما واختلاطهما .
(٢) فى نسخة « لو صحا » .

اقرا السلامَ على ليلى وحقَّ لها منى التحيةُ إن الموتَ قد نزعا(١)
أماتَ أم هو حيٌّ فى البلاد فقد قَلَّ العزاءُ وأبدى القلبُ ما جزعا

وقيل : كان المجنون بموضع يسمى الواديين وكان يجلس بينهما ويخلو فى بيته ، فخرج يوماً يريدهما ، فلما صار قريباً من الواديين أنشأ يقول :

ألا لا أرى وادِىَ المياه يُثيب ولا النفسَ عن وادى المياه تطيبُ
أُحب هبوطَ الواديين وإننى لمشتهرٌ بالواديين غريب
أحقاً عباد الله أنْ لستُ وارداً ولا صادراً إلا علىّ رقيب
ولا زائراً فرداً ولا فى جماعة مِن الناسِ إلا قيل أنت مُريب
وهل ريبةٌ فى أن تحن نجيبةٌ إلى إلفها أو أن يحن نجيب(٢)
وإن الكثيبَ(٣) الفردَ مِن جانب الحمى
إلىّ وإن لم آته لحبيب
ولا خير فى الدنيا إذا أنت لم تزر حبيباً ولم يَطرب إليك حبيب

---

(١) فى نسخة « اقر » بدون ألف .
(٢) نجيبة : ناقة ، والجنيب والنجيبة كناية عنه وعن محبوبته .
(٣) الكثيب : مجتمع الرمل ، الحمى : الجار وما يجب حمايته .

وذُكِرَ أن أباه الملوح أتاه وحمله إلى بابل ليعالجه وذلك قبل نزول ما نزل به من الحب الشديد وسورة العشق ، فحمله على ناقته ، فلما أمعنا فى السير ذكر المجنون ليلى فلم يتمالك أن قال :

تَمتّع مِن ذُرَى هضبات نجدٍ ... فإنك موشكٌ أن لا تراها
أوَدِّعها الغداةَ فكلُّ نفسٍ ... مفارقةٌ إذا بلغت مداها

قال : فبكى أبوه رحمة له وقال : يا بنى هل لك أن تسلو بغيرها ؟ فقال : والله ما أجد إلى السلو سبيلا وإنى لفى أعظم الكرب والبلاء ، وأنشأ يقول :

وكم قائلٍ لى أسلو(١) عنها بغيرها ... وذلك من قول الوشاة عجيب
فقلت وعينى تستهل دموعُها ... وقلبى بأكناف الحبيب يذوب
لئن كان لى قلبٌ يذوب بذكرها ... وقلبٌ بأخرى ، إنها لقلوب
فيا ليلى جُودى بالوصال فإننى ... بحبِّيك رهنٌ والفؤاد كئيب
لعلكِ أن تُروَى بشُربٍ على القذَى ... ى وترضى بأخلاق لهن خطوب(٢)
وتَبلى وصالَ الواصلين فتعلمى ... خلائقَ من يُصفى الهوى ويَشوب
لقد شفَّ هذا القلبَ أن ليس بارحا ... له شجنٌ ما يُستطاع قريب

---

(١) وفى نسخة « اسل » فعل أمر وهو الأصح .
(٢) شرب على القذى : أى شرب مرغمة وبرغم المرارة .

فلا النفسُ تُخليها الأعادى فتشتفى ... ولا النفسُ عما لا تنال تطيب

لكِ اللهُ إنى واصلٌ ما وصلتِنى ... ومُثنٍ بما أوليتِنى ومُثيب

وآخذٌ ما أعطيتِ صفواً وإننى ... لأزْوَرُ عما تكرهين هيوبُ(١)

فلا تتركى نفسى شعاعاً فإنها ... مِن الوجد قد كادت عليك تذوب

وألقىَ من الحب المبرِّح سَورةً ... لها بين جلدى والعظام دبيب

وإنى لأستحييكِ حتى كأنما ... علىّ بظهر الغيب منكِ رقيب

قال الوالبي : بلغنى أنه دخل بابل واجتمع إليه المطببون وأقبلوا يسقونه شربة بعد شربة ويكوونه ، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول :

دَعونى دعونى قد أطلتم عذابيا ... وأنضجتم جلدى بِحَرِّ المكاويا

دَعونى أمُت غماً وهماً وكربةً ... أياويح قلبى مَن به مثل ما بيا

دعونى بِغمى وانهدوا فى كلاءةٍ ... مِن الله قد أيقنتُ أن لستُ باقيا(٢)

وراءَكم إنى لقيتُ مِن الهوى ... تباريحَ أبلت جِدَّتى وشبابيا

بَرانِىَ شوقٌ لو برضوَى لهدّه ... ولو بثبير صار رَمساً وسافيا(٣)

---

(١) أزور : منحرف مبتعد ، هيوب : صفة مبالغة من هاب .

(٢) انهدوا : انهضوا واتركونى ، كلاءة من الله : حفظ من الله .

(٣) برانى : سلانى ، رضوى : جبل ، ثبير : جبل ، رمسا : قبراً ، سافيا : ترابا .

سقى اللهُ أطلالاً بناحية الحمى وإن كن قد أبدين للناس ما بيا
منازلُ لو مرّت عليها جنازتى لقال الصدى ياحامليّ انزلا بيا
فأشهدُ بالرحمن مَن كان مؤمناً
ومَن كان يرجو اللهَ فهو دعا ليا [1]
لعنا اللهُ أقواماً يقولون إننا
وجدنا الهوى فى النأى للصب شافيا [2]

فما بال قلبى هدّه الشوقُ والهوى وأنضج حرُّ البين منى فؤاديا
ألا ليت عينى قد رأت من رآكمُ لعلى أسلو ساعةً من هُياميا
وهيهات أن أسلو من الحزن والهوى وهذا قميصى من جوى البين باليا
فقلت نسيمَ الريح أدَّ تحيتى إليها وما قد حلّ بى ودهانيا
فأشكرُهُ إنى إلى ذاك شائق فيا ليت شعرى هل يكون تلاقيا
معذبتى ! لولاكِ ما كنتُ هائماً أبيتَ سخينَ العين حرّانَ باكيا
معذبتى ! قد طال وجدى وشفّنى هواكِ فيا للناس قلّ عزائيا

---

(١) وفى نسخة « فأشهدوا بالرحمن ... » .
(٢) لعنا الله أقواماً : لعن الله أقواماً وهو دعاء مشهور عليهم ، النأى : البعد ، الصب : شديد الغرام .

معذّبتي ! أوردْتِنِي مَنهلَ الردَى
وأخلفتِ ظنّي واخترمتِ وِصاليا [1]

خليليّ هيا فأسعداني على البُكا ... فقد جهَدَتْ نفسي وربِّ المثانيا
خليليّ إني قد أرِقتُ ونِمتما ... لبرقٍ يمانٍ فاجلسا عللانيا
خليليّ لو كنتُ الصحيحَ وكنتما ... سقيمين لم أفعل كفعلكما بيا
خليليّ مُدّا لي فراشيَ وارفعا ... وِسادي لعل النومَ يُذهِبُ ما بيا
خليليّ قد حانت وفاتي فاطلبا ... لي النعشَ والأكفان واستغفرا ليا
وإن متُّ مِن داء الصبابة أبلِغا ... نتيجةَ ضوء الشمسِ مِني سلاميا

وقال بعضهم : بينا أنا أدور فى صحراء بنى تميم إذ مررت بقانصين قد قنصا ظبيا وعقلاه ، فوقفت أنظر إليهما ، إذا أنا بغلام قد أقبل كأن وجهه فلقة قمر عليه ضفيرتان تضربان خصره ، فدنا منهما وتأمل الظبي ، ثم أرسل عينيه بالبكاء وهو يقول :

وذكّرَني مَن لا أبوح بذكره ... محاجرُ خِشْفٍ فى حبائل قانص [2]

---

(١) منهل : حوض الشرب ، الردى : الموت ، اخترمت وصاليا : قطعته .

(٢) محاجر : عيون ، خشف : الخشف : ولد الغزال ، حبائل : شباك ، قانص : صياد .

فقلتُ ودمع العين يجرى بحرقة ولحظى إلى عينيه لحظةُ شاخص
ألا أيهذا القانصُ الخشنَ خلِّهِ وإن كنتَ تأباه فخذ بقلائص[1]
بخفِ اللهَ ، لا تقتله إنَّ شبيهه حياتى وقد أرعدتَ منى فرائصى

فوالله ما برح حتى اشتراه وخلَّ سبيله .

وقيل : دخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان وقد قعد للشرب ، فقال : يا كثير هل رأيتَ أعشقَ منك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : وكيف وأنت القائل :

ركبانُ مكة والذين أراهم يبلون من حرِّ الفؤاد همودا[2]
لو يسمعون كما سمعتَ كلامها خرّوا لعزّةَ ركعاً وسجودا
الله يعلم لو أردتَ زيادةً فى حب عزة ما وجدتُ مزيدا

قال : أخبرك يا أمير المؤمنين ، بينما أنا أسير فى بعض البوادى فى ساعة الهاجرة فى يوم شديد الحر ، إذ رفع لى شخص فى مفازة ليس بها أنيس ، فذعرت منه ، ثم ملت إليه ، فإذا هو شاب حسن

---

(١) خله : أطلق سراحه ، قلائص : جمع قلوص : وهى الشابة من النوق .

(٢) فى نسخة « يبكون من حر ... » ، همود : انطفاء وسكون .

الوجه جعد الشعر فقلت : إنسى أنت أم جنى ؟ قال بل إنسى ، فقلت : ما أخرجك فى هذه الساعة إلى هذه البرية ؟ قال : نصبت شركا للظباء . قلت — وقد قرمت(١) إلى اللحم يا أمير المؤمنين — تجعل لى نصيباً إن أقمت عليك ؟ قال نعم ونعمة عين ، فأقمت عنده حتى اقتنص ظبية كأحسن ما يكون من الظباء ، ثم قبض على قرنها وأقبل ينظر فى محاسنها ويقول :

أيا شبهَ ليلى لا تُراعى فإننى
لك اليوم من بين الوحوش صديقُ

ثم أطلقها وجعل ينظر فى أثرها ويقول :

أقول وقد أطلقتها مِن وثاقها فأنت لليلى إن شكرتِ عتيق
فعيناك عيناها وجِيدك جيدها سوى أن عظم الساق منكِ دقيق
وكاد بلادُ الله يا أم مالك بما رَحبت منكم علىّ تضيقُ(٢)

---

(١) قرمت إلى اللحم : اشتد اشتهائى له .

(٢) فى الأغانى :
تكاد بلاد الله يا أم مالك بما رحبت يوماً علىّ تضيق
وأم مالك كنية ليلى .

قال : ثم وقعت يا أمير المؤمنين ساعة ، فإذا قد علقت أخرى فصنع بها ما صنع بالأولى ثم أطلقها وأنشأ يقول :

ألا يا شـــبه ليلى لا تراعى ولا تنسل عن ورد التلاع[1]
لقـــد أشبهتها إلا خـــلالا نشوز القرن أو خمش الكراع[2]

فتعجبت يا أمير المؤمنين من صنعه ، فما كان إلا هنيهة حتى علقت أخرى فأطلقها من وثاقها وجعل يبكى ويقول :

تروح سالماً يا شـــبهَ ليـــلى قريرَ العين واستـطِبِ البقولا
فليـــلى أنقذتك من المنايا وفـكت عن قوائمك الكبولا[3]

فغاظنى يا أمير المؤمنين غيظاً شديداً وقلت فى نفسى ستعلم ، ثم مكثنا ساعة فعلقت أخرى فوثبت إليها فكسرت يدها طمعاً فى لحمها ، فبكى بكاء عالياً ، ثم قال : ويحك ما دعاك إلى أن أفسدت موضعاً يوافقنى وكنت ألفته ؟ ، ثم اغتفلنى فأتى ماء كان قريباً منه فغمس فيه

---

(١) تنسل : من انسل بمعنى خـــرج ، التلاع : جمع تلعة وهو ما ارتفع من الأرض وانخفض .

(٢) خلالاً : جمع خلة وهى الصفة ، نشوز : بروز وارتفاع ، خمش : خدش ، الكراع : مستدق الساق .

(٣) قوائمك : سيقانك ، الكبول : جمع كبل وهو القيد .

كساءه فبله ، ثم أتى توبرة فأطفأها ، ثم قال أفسدت حالى . ما أراه إلا أنه مات .

فقال عبد الملك بن مروان فأين أنت من قولك حيث تقول :

أيا عَزّ لوْ أشكو الذى قد أصابنى ... إلى ميتٍ فى قبره لبكى ليا [1]

ويا عزّ لو أشكو الذى قد أصابنى ... إلى راهب فى ديره لرثى ليا

ويا عزّ لو أشكو الذى قد أصابنى ... إلى جبل صعبِ الذُرى لانحنى ليا

ويا عزّ لو أشكو الذى قد أصابنى ... إلى ثعلبٍ فى جحره لا نبرى ليا

ويا عزّ لو أشكو الذى قد أصابنى ... إلى موثق فى قيـــده لعدا ليا

قال : أشعر منى يا أمير المؤمنين الذى يقول :

إن الظباء التى فى الدُّور تعجبنى ... تلك الظباء التى لا تأكل الشجرا

لهن أعناقُ غزلانٍ وأعينها ... وهى أحسن مِنْ أبدانها صُورا

وَلِى فؤادٌ يكاد الشوق يصدَعه ... إذ تذكر من مكبوته الذكرى

كانت كدُرةِ بحرٍ غاص غائصها ... فأسلمتها يداه بعـــد ما قدرا

ويقول :

إذا نظرتَ عرفت الجِيدَ منها ... وعينها ولم تعرف سواها

كرهنا أن نُفزِّعها فقلنا ... أشَل اللهُ كفّ من رماها

---

(١) عز : هى عزة محبوبة الشاعر كثير ابن عبد الرحمن الشاعر الأموى .

قال فمن هذا ؟ قلت : يا أمير المؤمنين هو الذى يقول فى قصيدته :

وكنتُ كذَبّاح العصافير دائباً ... وعيناهُ من وجدٍ عليهن تهمل[1]

فلا تنظرى ليلى إلى العين وانظرى ... إلى الكف ماذا بالعصافير تفعل

قال : ويحك عساه المجنون ؟ قلت : نعم ، قال : فزدنى من شعره ، فقلت : قال :

لو مِيلَ أهلُ الهوى مِن بعد موتهم ... هل فرجتْ عنكم مُذ مُتّم الكُرَبُ

لقال صادقهم أن قد بلى جسدى ... لكن نار الهوى فى القلب تلتهب

جفّت مدامعُ عين الجسم حين بكى ... وإنّ بالدمع عينَ الروح تنسكب

وقال :

أحِنّ إلى أرض الحجاز وحاجتى ... خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصر

وما نظرى من نحو نجد بنافعى ... أجَلْ ولكنى على ذاك أنظر

أفى كل يوم عبرة ثم نظرة ... لعينك يجرى ماؤها يتحدر

متى يستريح القلب إمّا مجاور ... حزين وإما نازح يتذكر

يقولون كم تجرى مدامعُ عينه ... لها الدهر دمع واكفٌ يتحدر[2]

وليس الذى يجرى من العين ماؤها ... ولكنها نفسٌ تذوب وتفطر

---

(١) تهمل : تدمع .

(٢) واكف : غزير .

وقال :

وشُغلت عن فهم الحديث سوى ما كان منك وحبكم شغلي
وأُديم نحو محـــدِّثى لـيرى أن قد فهمتُ وعندكم عقلي

وقال : واجتمع قوم على جرير بن الخطفى فقال لهم جرير : ما بيتٌ نصفه كأنه أعرابى على قعود ، ونصفه كأنه جالينوس بحكمته ؟ قالوا : لا ندرى . قال : قد أجلتكم ، قالوا : لو أجلتنا حولين لم ندر ولكن عرّفنا ، فأنشأ يقول :

﴿ ألا أيها النوام ويحكم هبوا ﴾ كلمة أعرابى على قعود له ، ثم أدركه اللين ووضوح الحب فقال ﴿ أسائلكم هل يقتل الرجلَ الحبُّ ﴾ .

فقالوا : نعم حتى يرُضّ عظامه ويتركه حـــيرانَ ليس له لب
فيا بعلَ ليلى كيف يجمع شملنا لدىّ وفيما بيننا شبت الحربُ
لها مثل ذنبى اليوم إن كنتُ مذنبا ولا ذنب لى إن كان ليس لها ذنب

وعن رجل من بنى أسد قال : خرجت فى عام أشهب أمسكت السماء فيه مطرها والأرض نبتها ، فرحلت ناقتى ، وركبت الصعب والذلول ، ترفعنى أرض وتخفضنى أخرى ، فلما صرت فى ماء لبنى حنيفة وقعت لى روضة معشبة كثيرة الأنوار والزهر ، فدعتنى نفسى

إلى الإلمام بها ، فنزلت فى أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة وأنخت ناقتى إلى قنوان(١) شجرة صغيرة وجلست هنيهة ، فبينا أنا كذلك إذ سقط رجل من جراد(٢) ، فافترشت جنباتها وأخذت طولها وعرضها ، فظللت متعجباً مما أرى ثم رميت نظرى فى نواحيها فإذا أنا بشخص أقبل ما على جسده غير شعر منسدل على صدره ، وزغبات على عكنه(٣) ، فراعنى منظره واستطار قلبى خوفاً ووجلا ، وخشيت أن أكون على شرف الهلاك ، وما شككت أنه شيطان مارد فلما دنا منى أنشأ يقول :

حُبَّ إلينا بِكَ يا جرادُ

أرضٌ وإن جاعت بِكَ الأكبادُ وضاقت الأصدار والأورادُ

ولم يكن قبلُ لنا عِتادُ ولا لأبناء السبيل زادُ

فقلت : إنسى أنت أم جنى ؟ فأنشأ يقول :

---

(١) قنوان : فروع .

(٢) رحل من جراد : سرب من جراد .

(٣) زغبات : الزغب بفتحتين الشعيرات ، العكن : جمع عُكنة وهى الطية من البطن .

إليك عنى فإنى هائم وَصِبُ ... أما ترى الجسم قد أودى به العطبُ[1]

لله قلبى ماذا قد أتيح له ... حرُّ الصبابة والأوجاع والوصبُ

ضاقت علىّ بلاد الله ما رحبت ... يا للرجال فهل فى الأرض مطّرَبُ[2]

البينُ يؤلمنى والشوق يجرحنى ... والدار نازحةٌ والشمل منشعِبُ

كيف السبيل إلى ليلى وقد حُجِبت

عهدى بها زمنا ما دونها حُجُبُ

ثم خر مغشياً عليه ، فبادرت إلى الماء ونضحت على وجهه ، فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول :

بلادى لو فهمتِ بسطتُ عذرى ... إذا ما القلبُ عاوده نزوعُ

بها الحَيْنُ المباح لمن بغاهُ ... وجزَعٌ للغريب به مريعُ[3]

إلى أهلى الكرام تشاق نفسى ... فهل يوماً إلى وطنى أريعُ

وقيل : كانت العرب تحفر الركايا[4] والبرك وتملؤها ماء ثم تسقى

---

(١) وصب : صيغة مبالغة من وصب بمعنى مرض .

(٢) مطرب : مكان يكون فيه طرب وسرور .

(٣) الحين : بفتح الحاء الهلاك ، جزع : الجزع ضد الصبر ، مريع : مخيف .

(٤) الركايا : جمع ركوة وهى الحفرة التى للماء .

إبلها وغنمها ، فإذا انتجعت إلى غير تلك البقعة عفتها الرياح الصيفية فطمست آثارها القساطل(١) ، فكان المجنون يمر بتلك البقاع فلا يرى غير وتد مشجوج ونؤى(٢) منهدم وطوى مثلوم(٣) ، فيستعبر أسفاً وحزناً ، ويقول :

ألا يا رُكياتِ الرَّسيس على البِلا ... مُسقيتنَ هل فى ظلكن شجونُ(٤)
أضرَّ بكن العامَ نوءُ سحابةٍ ... ومَحْلٌ فما تجرى لكن عيونُ(٥)
أجنتْنَّ بعد الحى فانصاحت اللوى ... وكنتن عهدى ما بكن أُجونُ(٦)

قال : ثم قعد عند جبل يقال له الوشل بناحية تهامة ، كأعظم ما يكون من الجبال ، وأنشد يقول :

إقرأ على الوشل السلامَ وقلْ لهُ ... كلُّ المشاوب مُذْ هُجِرتَ ذميمُ

---

(١) القساطل : التراب المتراكم .
(٢) نؤى منهدم : جمع نوء وهو النبات (أقرب الموارد) .
(٣) طوى مثلوم : بئر مطوى مهدوم .
(٤) الركيات : الحُفر يتجمع فيها الماء ، والرسيس : موضع .
(٥) محل : جدب ويبس الأرض ، عيون : هنا عيون الماء .
(٦) أجنتن : تغير لون ماؤكن وطعمه ، فانصاحت : تصدعت ويبست ، اللوى : اسم موضع أو منقطع الرمل .

جبلٌ يزيد على الجبال إذا بدا ... بين الذرائع والحشوم مقيم ١
تسري الصبا فتبيتُ في ألوازه ... ويبيت فيه مع الشمال نسيم ٢
مُسقياً لِظلكَ بالعشي وبالضحى ... ولبرد مائك والمياه حميم ٣
لو كنتُ أملك منعَ مائك لم يذق ... ما في فلاتك ما حييتُ لئيم

وقيل : خرج رجل يريد سفراً فبينما هو يمر بين سباسب وآكام إذ رأى رجلا نحيل الجسم كأضوأ ما يكون من الرجال ، وهو على شفير بئر ، قال : فدنوت منه ، فإذا هو يقول :

عفا الله عن ليلى وإن سفكتْ دمي ... فإني وإن لم تُجزني غيرُ عائبِ
عليها ، ولا مبدٍ لليلى شكايةً

وقد يَشتكي المُشتكَى إلى كل صاحب

يقولون تُبْ عن ذكرِ ليلى وحبِّها ... وما خلَدي عن حب ليلى بتائب

---

(١) الذرائع : جمع ذريعة وهي الوسيلة ، الحشوم : جمع حشمة وهي الربوة وقد يكون اسم موضع .

(٢) الصبا : ريح ، ألوازه : جمع لوزة وهي ثمر شجر ينمو في المناطق المعتدلة .

(٣) سقياً لظلك : دعاء له بأن يكون دائم السقيا ، حميم : ساخنة .

وقال أيضاً :

فياقلبُ مُتْ حزناً ولا تكُ جازعاً ... فإن جزوع القوم ليس بخالد

هَوَيتُ فتاةً كالغزالة وجهها ... وكالشمس يَسبي دَلها كلَّ عابد

ولي كبدٌ حرَّى وقلبٌ معذَّب ... ودمعٌ حثيث في الهوى غيرُ جامد

وآيةُ وَجدِ الصبِّ تهطال دمعه ... ودمعُ شجي الصب أعدَل شاهد

على ما انطوى مِن وَجده في ضميره ... على الآنسات الناعمات الخرائد (١)

فياليت أن الدهر جاد برجعةٍ ... وهيهات إنَّ الدهر ليس بعائد

إليك فعزِّ النفس واستشعرِ الأسى

فحبـــك يُنمى زائداً غير بائد

وقد شَسعتْ ليلى وشطَّ مزارها ... وغيّرها عن عهدها قولُ حاسد

فيا أسفا حتّامَ قلبي معذَّب ... إلى الله أشكو طولَ هذي الشدائد

ثم رجعت فتركته ومضيت عنه .

وعن رجل من بني عامر قال : لقيت المجنون عند قفوله عن البيت الحرام ، فقلت له : ويحك استشعر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب ، واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك الشنعة ، فإن

---

(١) الخرائد : جمع خريدة وهي العذراء .

التهتك يقطع مواد الغبطة . وليس للمهتوك ألفة ، والمستور طويل مدة الغبطة . فكان من جوابه أن قال :

إن الغوانِيَ قتلن عشاقهـا ... يا ليتَ مَن جهل الصبابةَ ذاقها
في صدغهن عقاربٌ يلسعننا ... ما مَن لسَعن بواجدٍ ترياقها
إن الشقاءَ عناقُ كل خريدة ... كالخيرزانة لا نملٌّ عناقها
بيضٌ تُشبه بالحقاقِ نُدَيها ... من عاجة حكت الثدِيَّ حقاقها [1]
يُدمي الحريرُ جلودَهن وإنما ... يُكسَين من حُلل الحرير رِقاقها
زانت روادفها دِقاق خصورها ... إني أحب من الخصورِ دقاقها
إن التي طرق الرجالُ خيالها ... ما كنتُ زائرها ولا طرّاقها

وقال أيضاً :

وقالوا لو تشاء سلوتَ عنها ... فقلتُ لهم فإني لا أشاء
وكيف وحبها عَلِقٌ بقلبي ... كما علقتْ بأرشيةٍ دِلاء [2]
لها حُبٌّ تَنَشأ في فؤادي ... فليس له وإن زُجر انتهاء
وعاذلةٍ تُقَطعني مَلاماً ... وفي زَجر العواذل لي بلاء

---

(١) الحقاق : جمع حق وهي الآنية الصغيرة .

(٢) الأرشية : جمع رشاء وهو الحبل ، والدلاء : جمع دلو .

قال : فأقسمت عليه أن ينشدنى أحسن ما قاله فى وصف المحاجر والأطراف والبشر والجلد ، فقال :

ليالِيَ أصبو بالعشيِّ وبالضحى
إلى خُرَّدٍ ليست بسودٍ ولا عُصَلِ[1]

مُنعمة الأطراف تهيف بطونها
كواعبُ تمشى مشية الخيلِ فى الوحل

وأعناقها أعناقُ غزلانِ رملةٍ وأعينها من أعين البقر النُّجل
وأثلاثها السفلى بَرادَى ساحلٍ وأثلاثها الوسطى كثيبٌ من الرمل[2]
وأثلاثها العليا كأن فروعها عناقيدُ تُغذَّى بالدهان وبالعسل
وترمى فتصطادُ القلوبَ عيونُها وأطرافها ما يُحسن الرَّمىَ بالنبل

زرَعن الهوَى فى القلب ثم سقينهُ
صبابات ماءِ الشوق بالأعين النُّجل

---

(١) خرد : عذراء ، سود : يغلب عليها السواد ، عصل : معوجة .
(٢) برادى : قد يكون نبات البردى الذى ينمو على ضفاف الأنهار ويصنع منه الحصر .

رعابيب ما صِدنَ القلوبَ وإنما

هى النبل رِيشتْ بالفتور وبالكحل [1]

ففيم دماء العاشقين مُطلةٌ بلا قَودٍ عند الحسان ولا عقل [2]

ويقتلن أبناء الصبابة عنوةً أمَا فى الهوى يارب من حكمٍ عدل!

وقال أبو الحسن العلوى : سألتُ الوالبى عن أحسن شىء قاله المجنون فى العفة ، فأنشدنى :

ألا يا شِفاء النفس لو يُسعفُ النوى

ونجوى فؤادى لا تُباح سرائرهْ

أثيبى فتىً حققتِ قولَ عدوِّهِ عليه وقلّتْ فى الصديق معاذرُه

أحبك يا ليلى على غير رِيبةٍ وماخيرُ حبٍ لا تعُفُّ ضمائره

وأنشد :

يجيشون فى ليلى علىّ ولم أنل مع العذلِ من ليلى حراماً ولا حلا

سوى أن حباً لو تشاء أقلها ولو تبتغى ظلاً لكان لها ظلا

---

(١) رعابيب : جمع رعبيب بمعنى خائف ، ريشت : حليت بريش مثل السهم ، الفتور : الخجل .

(٢) القود : بفتحتين القصاص ، عقل : دية .

ألا حبذا أطلالُ ليلى على البلا وما بذلتْه لى مِن نوالٍ وإن قلاّ
فما يتمادى العهد إلا تجددتْ مودتها عندى وإن زعمت أنْ لا

وقال بعضهم : بينما المجنون ذات يوم جالس إذ مر به غراب ، فأنشأ يقول :

ألا ياغراب البين إن كنتَ هابطاً بلاداً لليلى فالتمس أن تكلما
وبلّغ تحياتى إليها وصَبوتى وكن بعدها عن سائر الناس أعجما

وقال : بينما المجنون ذات يوم فى خطرات جنونه وحيرته لايدرى أين يتوجه إذ لاح البرق له فوقف ساعة ثم قال :

ألا لا أحب السيرَ إلا مصعِّدا ولا البرقَ إلا أن يكون يمانيا
على مِثل ليـــلى يقتل المرء نفسه
وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا
إذا ما تمنى الناس رَوْحاً وراحةً تمنيتُ أن ألقاكِ يا ليلى خاليا
أرى سَقما فى الجسم أصبح ثاوياً وحزناً طويلا رائحاً ثم غاديا
ونادى منادِى الحبِّ أين أسيرُنا؟ لعـــلك ما تزداد إلا تماديا
حملتُ فؤادِى إن تعلق حبها جعلتُ له من زفرة الموت فاديا

وقال أيضا :

لقد طرقتني أمُّ خشفٍ وإنها ... إذا صرع القومَ الكرى لطروقُ [1]

أقام فريقٌ من أناسٍ بودهم ... بذات الشرى عندي وبات فريق [2]

بحاجة محزونٍ كئيبٍ فؤاده ... رهينُ بيضاتِ الحجال صديق [3]

تحيلن أن هبت لهن عشية ... جنوبٌ وإن لاحت لهن بروق [4]

فيا كبدا أخشى عليها وإنها ... مخافة هضبات اللوى لخنوق

كأنّ فضولَ الرقم حين جعلتها ... غدِيّاً على أدَمِ الجمال عُذُوق [5]

وفيهن من بُخْلِ النساء بحلةٍ ... تكاد على غرِّ السحاب تروق [6]

---

(١) طرقتني: زارتني أو تذكرتها ليلاً ، الخشف : ولد الغزال ، الكرى : النوم .

(٢) ذات الشرى : موضع .

(٣) رهين : متعلق وأسير ، الحجال : الخلاخيل .

(٤) جنوب : ريح الجنوب .

(٥) فضول الرقم : ما تبقى من الكتابة وآثارها ، الأدم : بفتحتين وضمتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ ، العذوق : جمع عذق وهو النخلة بحملها .

(٦) غر السحاب : السحاب الأبيض ، تروق : تصفو .

هبان فأما الدعص من أخرياتها فوعث وأما خصرها فدقيق[1]

وقال أيضاً :

أقول لقمقام بن زيد ألا ترى سنا البرق يبدو للعيون النواظر
فإن تبكِ للبرق الذي هيج الهوى أعنك وإن تصبر فلست بصابر
سقى الله حياً بين ضارة والحمى
حمى الرشف صوب المدجنات المواطر[2]
أمين وادي الله من كان منهم إليهم ووقاهم صروف المقادر

وقيل : إنه مر ذات يوم بدوحة مديدة الظل باسقة الأغصان وريقة الأفنان في يوم غليل شديد القيظ فاستند إلى ساقها واستظل بظلها وقد خامرته الهموم وعلاه الجنون ، فرقدت عيناه فما انتبه إلا بصفير طائر على الشجرة فانتبه فزعاً مرعوباً ، فأنشأ يقول :

لقد هتفت في جنح ليلٍ حمامة على فننٍ وهنا وإني لنائم
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنني لنفسي فيما قد أتيت لَلائم

---

(١) الدعص : الرمل أو الكثيب المجتمع ، وعث : رمل رقيق ناعم تغوص فيه القدم .

(٢) ضارة والحمى : موضعان ، المدجنات : السحاب الممطر ، الرشف : موضع .

أأزعمُ أنى عاشقٌ ذو صبابة بليلى ولا أبكى وتبكى البهائم
كذبتُ وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتنى بالبكاء الحمائم

وقال أيضاً :

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرتْ
وأهوى لنفسى أن تهبَّ جَنوبُ
فويلى على العذّال ما يتركونني بغمى أما فى العاذلين لبيب
يقولون لو عَزيت قلبك لارعوى [1]
فقلت وهل للعاشقين قلوب
دعانى الهوى والشوق لما ترنمت
كهتوفُ الضحى بين الغصون طَروب
تجاوب ورقاً قد أصحنَ لصوتها فكلٌّ لكلٍّ مُسعِدٌ ومجيبُ
فقلت حمامَ الأيكِ مالك باكيا أفارقتَ إلفا أم جفاك حبيب
تذكرنى ليلى على بعدِ دارِها وليلى قتولٌ للرجال خَلوب
وقد رابنى أن الصبا لا تجيبنى وقد كان يدعونى الصبا فأجيب
سبى القلبَ إلا أن فيه تجلداً غزالٌ بأعلى الماتحين ربيب [2]

---

(١) ارعوى : انتهى وامتنع .
(٢) الماتحين : جبل ، ربيب : أى تربى ونشأ فيه .

فكلّم غزال الماتحين فإنه بدائى وإن لم يشفنى لطبيبُ
فلو أنّ مابى بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يُسمع لهن هبوب
ولو أننى أستغفرَ اللهَ كلما ذكرتكِ لم تُكتبْ علىّ ذنوب
فدومى على عهدٍ فلستُ بزائلٍ عن العهدِ منكم ما أقام عسيب

وقال أيضاً :

أموت إذا شطّتْ وأحيا إذا دنت
وتبعث أحزانى الصّبا ونسيمها
فمن أجل ليلى تُولع العينُ بالبكا وتأوِى إلى نفسٍ كثيرٍ همومُها
كأن الحشا مِن تحته علقتْ به يدٌ ذاتُ أظفارٍ فأدْمت كلومُها

قيل : إن المجنون صحب يوماً أصحاب إبل واستروح بهم فنزلوا منزلا لم يجدوا لإبلهم فيه ماء قد أجهدهم الكلال ، فباتوا ليلتهم ، فلما نوّر الصباح قدح أحدهم ناراً فكلما التهبت أطفأتها الريح والمطر ، فلما طال ذلك عليهم أنشأ المجنون يقول :

يا مُوقدَ النارِ يُذكيها ويُخمدها قرُّ الشتاءِ بأرياحٍ وأمطار
قُم فاصْطلِ النارَ مِن قلبي مضرّمةً فالشوقُ يُضرمها يا مُوقدَ النار

ويا أخا الذَّود قد طال الظماء بها ... لم تدرِ ما الرِّى من جَدْبٍ وإقتار [1]
تروى المطىَّ بدمعٍ مُسبِلٍ جارٍ ... ردّ المطىَّ على عينى وحجرها
كان الرحيلُ فإنى غيرُ صبار ... يامزمعَ البين إن جدَّ الرحيل فلا

وقال :

أقول لأصحابى وقـــد طلبوا الصِّلا

تعالوْا اصطلوا إن خفتم القرَّ من صدرى

إذا ذُكِرَتْ ليلى أحرُّ من الجمر ... فإنَّ لهيب النارِ بين جوانحى
فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهرى ... فقالوا نريد الماء نسقِى ونستقى
سيغنيكم دمعُ الجفون عن الحَفر ... فقالوا وأين النهرُ قلتُ مدامعى
فقالوا الحاك الله قلت اسمعوا عذرى ... فقالوا ولِمْ هذا فقلت من الهوى
إذا برزت يُغنى عن الشمس والبدر ... ألم تعرفوا وجهاً لليلى شعاعه
ويخرجها دون العيان لها فكرى ... يمرّ بوهمى خاطرٌ فيودّها
لكان له فضلٌ مبينٌ على البدر ... مُنَعمةٌ لو قابل البدر وجهها
مُرَجرجة السفلى مهفهفةُ الخصر [2] ... هلاليةُ الأعلى مُطلخمةُ الذرا

---

(١) إقتار : قلة المـاء .

(٢) مطلخمة : من الطلخ : وهو ما يبقى فى قاع الحوض ـ ويكون أسود اللون والمقصود أنها سوداء الشعر ، الذرا : الرأس أو الشعر ، مرجرجة : كثيرة الاهتزاز ، مهفهفة : ضامرة نحيلة .

مُبتَلة هيفاء مهضومة الحشا ... مُوَرَّدة الخدَّين واضحة الثغر [1]

مدَملجة السَّاقين بَضٌّ بضيضةٌ ... مفلجة الأنياب مصقولة الخَمر [2]

فقالوا أمجنونٌ فقلت مُوَسْوِس ... أطوف بظهر البيد قفراً إلى قفر

فلا مَلَكُ الموتِ المريحُ يريحني ... ولا أنا ذو عيش ولا أنا ذو صبر

وصاحت بوَشْك البين منها حمامةٌ ... تغنت بليل فى مُذرَى ناعم نضر

على دَوحة يستَنُّ تحت أصولها ... نواقعُ ماءٍ مَدَّه رَصَفُ الصخر [3]

مطوَّقة طوقا ترى فى خطامها ... أصولَ سوادٍ مطمئن على النحر [4]

أرَنت بأعلى الصوت منها فهيجت ... فؤاداً مُعَنًّى بالمليحة لو تدرى

---

(١) مبتلة : من بتل الشيء إذا أبانه من غيره ، والمعنى أنها ظاهرة بارزة ، هيفاء : طويلة ، موردة الخدين : خداها بلون الورد ، مهضومة الحشا : ليس لها بطن بارز .

(٢) مدملجة الساقين : ممتلئة الساقين ، بض بضيضة : بيضاء ، مفلجة الأنياب : الفلج فى الأسنان هو التباعد بينها وهو من علامات جمال المرأة ، الخمر : الخمار : مصقولة : سميكة .

(٣) يستن : يرعى ويأتى العشب ، مدّه : أى أمده بماء ، رصف الصخر : الصخور المحماة المشتعلة .

(٤) مطوقة : أى عليها طوق ، خطامها : الخطام زمام الفرس أو أثر الطوق هنا .

فقلت لها عودى فلما ترنمت تبادرت العينان سحًّا على الصدر
كأن فؤادى حين جدّ مسيرُها جناحُ غراب رام نهضا إلى الوكر
فودّعتها والنار تقدح فى الحشا وتوديعها عندى أمرُّ من الصبر
ورُحتُ كأنى يوم راحت جمالهم سقيت دمَ الحياة حين انقضى عمرى
أبيتُ صريعَ الحُبِّ دامٍ من الهوى
وأصبح منزوع الفؤاد من الصبر
رمتنى يدُ الأيام عن قوس غِرة بسهمين فى أعشار قلبى وفى سحرى
بسهمين مسمومين من رأس شاهق فغودِرتُ محمر الترائب والنحر
مُنايَ دَعينى فى الهوى متعلقا فقد مِتُّ إلا أننى لم يَزَرْ قبرى
فلو كنتِ ماءً كنتِ من ماء مزنةٍ
ولو كنت نَوماً كنت من غفوة الفجر
ولو كنت ليلا كنت ليل تَواصلٍ
ولو كنت نجما كنتِ بدر الدجى يَسرى
عليك سلام الله يا غايةَ المنى وقاتلتى حتى القيامةِ والحشر

قال : ونظر ذات يوم إلى طير يتحلق فى جو السماء فأتبعه بصره وأنشأ يقول :

ألا أيها الطير المحلِّق غاديا تَحَمَّل سلامى لا تَذَرْنى مناديا

تحمّل هداك اللهُ مِني رسالةً إلى بلدٍ إن كنتَ بالأرض هاديا
إلى قفرةٍ من نحو ليلى مُضلّةٍ بها القلبُ مِني موثَقٌ وفؤاديا
ألا ليتَ يوماً حلّ بي من فراقكم تزودتُ ذاك اليوم آخر زاديا

قال موسى بن جعفر : خرج المجنون لما أصابه ما أصابه حتى أتى الشام فسأل عن أرض بني عامر ، فقيل وأين أنت من أرض بني عامر ؟ عليك بنجم كذا ، فرجع إلى أرض بني عامر ووقف عند جبل يقال له ثوبان فقال :

وأجهشتُ للثوبان حين رأيته وهلّلَ للرحمن حين رآني
وأذريتُ دمعَ العين لما رأيته ونادى بأعلى صوته ودَعاني
فقلت له أين الذين عهدتَهم حوالَيكَ في خصبٍ وطيبِ زمان؟
فقال مضَوْا واستودعوني بلادَهم ومَن ذا الذي يبقى مع الحدَثان
وإني لأبكي اليومَ مِن حذَري غدا فراقكَ والحيانِ مؤتلفان
سِجالاً وكهتّانا ووَبلاً ودِيمةً وسَحاً وتسجاما إلى هَمَلانِ [1]

---

(١) سجالاً : أي كماء السجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء ، هتانا : مطر منقطع ، وبلاً : مطر شديد متواصل، ديمة : مطر دائم ، سحاً : يقال للمطر والدموع إذا سالت بكثرة ، تسجاماً : من سجم الدمع إذا سال ، همالان : من همات عينه إذا فاضت من كثرة البكاء .

قال الوالبي : ذكر أن أباه الملوح وإخوته ساروا إلى الصحراء ليأخذوه ويردوه إلى الحي وأهل بيته ، وذلك بعد ما نحل جسمه واسود وجهه وجف جلده على عظامه ، فلما وردوا عليه لقوه قاعداً على تل من رمل وهو يخط بأصبعه ، فلما دنوا منه نفر ، فناداه أبوه : يا قيس ! أنا أبوك الملوح وهذا أخوك ، فطب نفساً وأبشر فقد وعدني أبوها أن يزوجكها ويردك من نفارك وينزل عند حكمك ورضاك . فأقبل إليهم وأنس بهم ، فقال له أبوه : يا قيس أما تتقي الله وتراقبه ! كم تطيع هواك وتعصيني ، فقد كنتَ أرجىَ ولدي ، أفضلك عليهم وأوثرك ، فأخلفتَ ظني ولم تحقق أملي ، فليت شعري ما أراها ممن يوصف بالجمال والحسن ، وقد بلغني أنها فوهاء[1] قصيرة جاحظة العينين شهلة[2] سمجة ، فعد عن ذكرها ولك في قومك مَن هو خير لك منها . فلما سمع ثلبه فيها أنشأ يقول :

يقول لي الواشون ليلىَ قصيرةٌ ... فليت ذراعاً عرْضُ ليلى وطولها

وإنّ بعينيها لَعَمرك شَهلةً ... فقلت كرامُ الطير شَهلٌ عيونها

---

(١) فوهاء : واسعة الفم قبيحة .

(٢) شهلة : شهل العين أن يشوب سوادها زرقة وهو من علامات القبح .

وجاحظة فوهاء لا بأس إنهـــا
مِنِّى كيَدِى بل كلُّ نفسى وسولها [1]
فَدَقَّ صِلابَ الصخر رأسك سرمداً
فإنى إلى حين الممات خليلها

فلما سمعوا هـــذه الأبيات تركوه وانصرفوا قانطين ، فبينما هو ذات يوم نائم إذ مر به رجل فقال :

ألا إن ليلى بالعراق مريضةٌ وأنت خَلِىٌّ البال تلهو وترقد
فلو كنتَ يا مجنونُ تُضنى من الهوى
لبتَّ كما بات السليم المسهَّد

فخر المجنون مغشيا عليه لما سمع ذلك فلما أفاق أنشأ يقول :

يقولون ليلى بالعراق مريضة فمالكَ لا تضنى وأنت صديقُ
سقى اللهُ مَرضىَ بالعراق فإننى على كلِّ مرضى بالعراق شفيق
فإن تكُ ليلى بالعراق مريضةً فإنِّىَ فى بحر الحتوف غريق
أهيم بأقطار البلاد وعَرْضها وما لى إلى ليلى الغداةَ طريق

---

(١) جاحظة : بارزة العينين ، فوهاء : واسعة الفم ذميمة، سولها: أى كل ما تتمناه .

كأن فؤادى فيه مُورٍ بقادحٍ ... وفيه لهيبٌ ساطعٌ وبروق [1]

إذا ذكرتها النفس ماتت صبابةً ... لها زفرةٌ قتّالةٌ وشهيق

سقتنى شمسٌ يخجل البدرَ نورُها ... ويكسِف ضوء البرق وهو بَروق

عَرابية الفرعين بَدرية السنا ... ومنظرها بادى الجمال أنيق [2]

وقد صِرت مجنونا من الحب هائما ... كأنّىَ عانٍ فى القيود وثيق

أظل ذريحَ العقل ما أطعمُ الكرَى ... وللقلبِ منى أنّةٌ وخفوق [3]

برى حبها جسمى وقلبى ومهجتى ... فلم يبقَ الا أعظمٌ وعروق

فلا تعذلونى إن هلكتُ تحرّموا ... علىّ ففقدُ الروح ليس يعوق

وخطوا على قبرى إذا مِتُّ واكتبوا

قتيلُ لِحاظٍ مات وهْوَ عشيق

إلى الله أشكو ما ألاقى منَ الهوى ... بليلى ففى قلبى جوىً وحريق

---

(١) مور : ريح مترية شديدة الحركة .

(٢) عرابية : نسبة إلى قبيلة أو إلى العرب ، الفرعين : أى من جهة الأب والأم أو كناية عن ضفيرتى الشعر . السنا : الضوء الشديد .

(٣) فى نسخة « رزيح العقل » بمعنى ضعيف العقل ، رهنا ذريح العقل : الذراريح سم وذريح العقل بمعنى مريض العقل مسمة بالأفكار.

وقال أيضا :

أقول لظبيٍ مرَّ بي وهو راتعٌ ... أأنت أخو ليلى فقال يُقال

أيا شبهَ ليلى إن ليلى مريضةٌ ... وأنت صحيحٌ إنَّ ذا لمحال

وقال أيضا :

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ ... فأقبلتُ من مِصرٍ إليها أعودها

فوالله ما أدري إذا أنا جئتها ... أأبرئها من دائها أم أزيدها

وروى أن رهطا من بنى أسد خرجوا إلى بلاد الشام فى بعض تجارتهم فعثروا بالمجنون فقالوا : يا قيس ما منع أبا ليلى أن يتلافى أمرك ويتداركه إلا أن قد صار مشهوراً فى الأمصار ذكر ما دار بينكما من الرفث والفسوق، فهلا كففت نفسك عن المعاصى وزجرتها عن القذع والأمور الفظيعة حتى يدوم لك صفاء المودة وغضارة النعمة خاليا عما أنت بصـــدده ؟ فلما سمع مقالتهم بكى بكاءً متوجعاً وأنشأ يقول :

ألا أيها القوم الذين وَشَوْا بنا ... على غير ما تقوى الإله ولا بِرِّ

ألا ينهكم عنا تُقاكم فتنتهوا ... أم أنتم أناس قد جُبلتم على الكفر

تعالوا نقف صفين منا ومنكم ... وندعو إلهَ الناس فى وضح الفجر

على من يقول الزورَ أو يطلب الخنا

ومن يقذف الخودَ الحصانَ ولا يدرى [1]

حلفتُ بمن صلَّت قريشٌ وجمَّرت

له بمنى يومَ الإفاضة والنحـــر [2]

وما حلقوا من رأس كلُّ مُلبِّـى صبيحةعشرٍ قد مضين من الشهرِ

لقد أصبحتْ منى حصاناً بريئةً مُطهرةً ليلى من الفحش والنُّكر

من الخفرات البيض لم تدر ما الخنا ولم تُلفَ يوماً بعد هجعتها تسرى [3]

ولاسمعوا من سائر الناس مثلها ولا برزتْ فى يوم أضحى ولا فطر

برهرهةٌ كالشمس فى يوم صحوها منعمةٌ لم تخطُ شبراً من الخدر [4]

هى البدر حُسنا والنساء كواكبٌ فشتَّان ما بين الكواكب والبدر

يقولون مجنونٌ بليم بذكرها ووالله ما بى من جنون ولا سحر

---

(١) الخنا : الفحش . يقذف : يتهم بالزنا ، الخود الحصان : العذارى الشريفات .

(٢) جمرت : أى رمت الجمار ، الإفاضة : الإفاضة من عرفات ، النحر : من شعائر الحج .

(٣) الفحش : الفحش والزنا ، تسرى : أى تتسلل ليلا لتلقى عشيقها .

(٤) برهرهة : البرهرهة المرأة البيضاء الشابة الناعمة الملمس . الخدر : الخيمة .

إذا ما قرضتُ الشعرَ في غير ذكرها ... أبى وأبيكم أن يطاوعني شعري
فلا نعمتْ بعدي ولا عشتُ بعدها ... ودامت لنا الدنيا إلى ملتقى الحشر
عليها سلام الله من ذي صبابةٍ ... وصبٍّ مُعنى بالوساوس والفكر
لياليَ أعطيتُ البطالةَ مِقودي ... تمر الليالي والسِّنون ولا أدري
مضى لي زمانٌ لو أخيَّرُ بينه ... وبين حياتي خالدا أبد الدهر
لقلتُ ذروني ساعةً وكلامَها ... على غفلةِ الواشين ثم اقطعوا عمري

ثم جعل يدور هائما قد اشتد وسواسه وجنونه إذ مر بعقاب ساقط على وكره ، فدنا منه وأنشأ يقول :

ألا يا عُقابَ الوكر وكر ضريةٍ
سقيتِ الغوادي من عقابٍ على وكرِ
أبيني لنا لا زال ريشكِ ناعما ... ولازلت في صيد مُخضبة الظفر
أبيني لنا قد طال ما قد تركتِنا
بعمياءَ لا ندري أنُصبح أم نَسري
وقفتُ على مَرّانَ أنشدُ ناقتي
وما هلكتْ لي من قَلوصٍ ولا بكر [1]

---

(١) مرّان : جبل ، قلوص : ناقة ، بكر : من الإبل .

وما أنشُدُ البعرانَ إلا صبابةً بواضحة الخدينَ طيبةِ النشر (١)

مفلَّجةِ الأنيابِ لو أن ريقها يداوَى بها الموتى لقاموا من القبر (٢)

إذا ذُكرتْ ليلى أُسَر بذكرها

كما انتفض العصفورُ من بلل القطر

فقال جميعُ الناس لمَّا نشدتُها بَلىَ ، وفريقٌ قال والله ما ندرى

تداويتُ من ليلى بليلى عن الهوى

كما يتداوى شاربُ الخمر بالخمر

ألا زعمتْ ليلى بأن لا أحبها بلىَ وليالى العشر والشفع والوتر

بلىَ والذى لا يعلم الغيب غيرُه بقدرته تجرى السفائنُ فى البحر

بلى والذى نادى من الطور عبدَه وعظَّم أيامَ الذبيحـــة والنحر

لقد فُضلتْ ليلى على الناس مثل ما

على ألف شهرٍ فُضلتْ ليلة القدر

---

(١) البعران : البعير يشمل الجمل والناقة ، صبابة : غراماً بصاحبتها ، النشر : الرائحة الزكية .

(٢) مفلجة الأنياب : متباعدة ما بين الأسنان وهو من علامات الحسن .

وقال :

فوالله ما أبكى على يوم مَيتتى ولكننى من وشكِ بينكِ أجزعُ
فصبراً لأمر الله إن حان يومنا فليس لأمرٍ حمَّهُ الله مَدفع

قال على بن صالح :

حججت مع أبى عيسى بن الرشيد ، فبينا نسرى ليلا إذ نحن بأعرابى يترنم بأبيات ما سمعت والله أحسن منها ، ونغمات ما كدت أسمع مثلها ، وهى :

ألا هل إلى شمِّ الخزامى ونظرةٍ إلى قرقرَى قبلَ المماتِ سبيلُ(١)
فأشرب من ماءِ الحجيلاءِ شربة يُداوَى بها قبل المماتِ عليل(٢)
فيا أثلات القاع قد ملَّ صحبتى مسيرى فهل فى ظلكن مَقيل(٣)

---

(١) الخزامى : نبت طيب الرائحة ، والتبخر به يذهب كل رائحة منتنة ، وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد ، قرقرى : اسم موضع .

(٢) ماء الحجيلاء : الماء الذى لا تصيبه الشمس .

(٣) أثلات : جمع أثلة واحدة الأثل ، وهو شجر . القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، مقيل : اسم مكان من قيل بمعنى استراح .

ويا أثلات القاع ظاهرُ ما بدا بجسمى على ما فى الفؤاد دليل
ويا أثلات القاع من بين توضحٍ حنينى إلى أفيائكن طويل(١)
ويا أثلات القـــاع قلبى موكلٌ بكن وجدوى خيركن قليـــل
أرُومُ انحداراً نحوها فيردُّنى ويمنعنى دَينٌ علىّ ثقيـــل
أحدِّث عنك النفس إذ لستُ راجعـــا
إليـــك فحزنى فى الفؤاد دخيـــلُ

وقال :

أحجاجَ بيت الله فى أى هودجٍ وفى أىِّ خدرٍ من خدوركم قلبى
أأبقَى أسيرَ الحب فى أرض غربةٍ وحاديكم يحدو بقلبى فى الرَّكب

وقال :

ومغتربٌ بالمرج يبكى بشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما أتاه الرَّكب من نحو أرضه تنفس يستشفى برائحة الركب

فقال أبو عيسى : علىّ بالرجل ، فتفرقت الخيل فى طلبه يمنة ويسرة ، فما كان إلا هنيهة حتى أتى برجل ضئيل الجسم ناحل البدن

---

(١) توضح : موضع . أفياء جمع فىء وهو الظل .

عريان ، فقال له : من أنت لأمك الهبل ؟ فو الله ما تنهنه أن قال أسرع من مخرج نفسه وارتداد طرفه :

أنا الوامق المشغوف والله ناصرى ... ومنتقمى ممن يجور ويظلمُ
أنا الناحل المهموم والقائم الذى ... أراعى الثريا والخليون نوّم
أظل بحزنٍ دائمٍ وتحسرٍ ... وأشرب كأساً فيه سمٌّ وعلقم
فتّام يا ليلى فؤادى معذّبٌ ... برُوحى تقضى ما تُحب وتحكم
لعمرى ما لاقى جميلُ بن مَعمر ... كوجدى بليلى لا ولم يلقَ مُسلم
ولم يلق قابوس وقيسٌ وعروة ... ولم يلقه قبلى فصيحٌ وأعجم
صبا يوسف واستشعر الحبّ قلبه ... ولا كاد داودُ من الحب يسلم
وبِشرٌ وهند ثم سعدٌ ووامق ... وثوبةُ أضناه الهوى المتقسّم
وهاروتُ لاقى من جوَى الحب سطوةً ... وماروتُ فاجاه البلاء المصمّم
ولم يخلُ منه المصطفى سيدُ الورى ... أبو القاسم الزاكى النبى المكرم
أربيت صريعَ الحب باك من الهوى ... ودمعى على خدى يفيض ويسجُمُ
ولولا طروق الليل أودَت بنفسه ... منعمةُ اللحظين تُبرى وتُسقم(١)

---

(١) الطروق : الزيارة ليلا ، تبرى : تشفى من المرض .

إذا هى زادت النوى زاد فى الهـــوى

فلا قلبـــه يسلو ولا هى ترحـــم

أعارته أنفاسَ الصبا بكَ صبوة لها بين جنبيه سَعيرٌ مضرم

ألا إن دمع الصبِّ عمَّا يُجنهُ وإن لم يَفُهْ يوماً به مُتكلم

لسانى عَيىٌّ فى الهوى وهو ناطقٌ ودمعى فصيحٌ فى الهوى وهو أعجم

وكيف يُطيق الصبُّ كتمانَ سرِّه وهل يكتم الوجدَ امرؤٌ وهو مُغرَم

عُذَيرِىَ مِن طيفٍ أتى بعد مُوهِنٍ

برامةَ حِـــزوى عَرفُهُ يتقـــدمُ(١)

تَنفسَ روضٌ جادَه ماءُ مزنةٍ وأطرافه تبكى الندَى ثم تبتسم

قال له أبو عيسى : أما تحن إلى أكناف الحمى ويرتاح قلبك إلى أقطار نجد وبلاد ليلى ؟ فزفر زفرة ثم رن بعدها وقال :

تَحَزَّ بصبرٍ لاوجَدَّكَ لاترَى بشام الحمى إحدى الليالى الغوائر(٢)

كأن فؤادى من تذكره الحمَى وأهل الحمى يهفو به ريشُ طائر

قال على : فو الله لقد أبكانا جميعا ، ثم أمر له أبو عيسى بأثواب

---

(١) موهن : منتصف الليل ، عرفه : رائحته الطيبة . رامة حزوى : اسم موضع .

(٢) الليالى الغوائر : الليالى السالفة .

شريفة ودراهم كثيرة ، فقلنا أيد الله الأمير إنه لمجنون ما يلبس ثوبا إلا قدّه ورماه، فعد عنه إلى ماسواه ، وسله أن ينشدك بعض أشعاره. فقلنا له : هل لك أن تروى لمولانا الأمير شيئاً من شعرك ؟ فطفق يبكى ويقول :

وإنى وإن لم آت ليلى وأهلها ... لباكٍ بكا طفلٍ عليه التمائمُ
بكاً ليس بالنزر القليل دائماً ... كما الهجر من ليلى على الدهر دائم
هجرتك أياماً بذى الغمر إننى ... على هجر أيام بذى الغمر نادم
فلما مضتْ أيام ذى الغمر وارتمى ... بىَ الهجرُ لامتنى عليك اللوائم
وإنى وداكِ الهجر ما تعلمينه ... كعازبةٍ عن ظعنها وهى رائم(١)
ألم تعلمى أنى أهيم بذكرها ... على حين لا يبقى على الوصل هائم
أظل أمنّى النفسَ إياك خاليا ... كما يتمنى باردَ الماء صائم

وقال :

ألا أيها القلب اللجوج المعذّل ...
أفِقْ عن طِلاب البيضِ إن كنتَ تعقلُ(٢)

---

(١) وداك الهجر : عازبة : بعيدة غائبة ، رائم : من رام .
(٢) اللجوج : المتمادى فى خصومته ، المعذّل : المعاتب ، طلاب : مطلب .

أفق قد أفاق الوامقون وإنما ... تمادیكَ فی لیلی ضلالٌ مضلَّل

سلاكلُّ ذی وُدٍّ عن الحب وارعوی ... وأنتَ بلیلی مُستهامٌ مُوكل

فقال فؤادی: ما اجترتُ ملامةً ... إلیكَ ولكن أنتَ باللوم تعجل

فعینك لُؤمها إنَّ عینك حمَّلت ... فؤادَكَ ما یعیا به المتحمِّلُ

لحیَ اللهُ من باع الخلیلَ بغیره ... فقلتُ نعم حاشاك إن كنتَ تفعل

وقلت لها ـــا بالله یا لیلُ إننی ... أبرّ وأوفی بالعهود وأوصل

كهبی أننی أذنبتُ ذنبا علمتِهِ ... ولا ذنب لی یا لیلُ فالصفح أجمل

فإن شئتِ هاتی نازعینی خصومةً ... وإن شئت قتلا إن حكمك أعدل

نهاری نهارٌ طال حتی مللتُـــه ... ولیلی إذا ما جنَّنی اللیلُ أطول

وكنت كذئب السوءِ إذ قال مرةً ... لبهمٍ رعت والذئبُ غرثانُ مُرمِل(١)

ألستِ التی من غیر شیء شتمتنی ... فقالت متی ذا؟ قال ذا عام أول

فقالت وُلدت العام بل رُمتَ كذبةً ... فهاك فكانی لا یهنیك مأكل

وكنت كذبّاحِ العصافیر دائبا ... وعیناه من وَجْدٍ علیهن تُهمل

فلا تنظری لیلی إلی العین وانظری ... إلی الكف ماذا بالعصافیر تفعل

وقال :

أقول لصاحبی والعیسُ تهوی ... بنا بین المُنیفةِ فالضِّمار(٢)

---

(١) ذئب السوء : الذئب اللئیم ، البهم : صغار المعاز والخراف ، غرثان : جائع ، مرمل : لا زاد له .

(٢) العیس : الإبل جمع أعیس ، تهوی : تمضی مسرعة ، المنیفة والضمار : موضعان .

تمتع من شميم عرار نجدٍ ... فما بعد العشية من عرار(١)
ألا يا حبذا نفحات نجد ... وريّا روضةٍ غِبّ القطار(٢)
وأهلكَ إذ يحل الحيُّ نجداً ... وأنتَ على زمانك غيرُ زار(٣)
شهورٌ ينقضين وما شعرنا ... بأنصافٍ لهنّ ولا سرار(٤)
فأما ليلهن فخيرُ ليلٍ ... وأطول ما يكون من النهار

وقال :

من أجل سار في دجى الليل لامع ... جفوتَ حذارَ البين لين المضاجعِ
علامَ تخاف البينَ والبينُ نافعٌ ... إذا كان قربُ الدار ليس بنافع
إذا لم تزل ممن تحب مروّعا ... بغدرٍ فإن البين ليس برائع

وقال :

سأبكي على ما فات مني صبابةً ... وأندُبُ أيامَ السرور الذواهبِ

---

(١) شميم : شم ، عرار : نبت طيب الريح .
(٢) ريا : اسم جبل ببلاد بني عامر ، غب : الغب في السقيا يوماً بعد يوم ، القطار : السحاب الممطر .
(٣) زار : عائب ولائم .
(٤) سرار : أي آخر ليلة من الشهر ، أي أنه لا يشعر بمرور الأشهر لا في منتصفها ولا آخر لياليها .

وأمنع عيني أن تلذّ بغيركم ... وإني وإن جانبتِ غير مجانب
وخير زمانٍ كنتُ أرجو دُنوّه ... رَمتني عيون الناس من كل جانب
فأصبحتُ مرحوماً وكنت محسّداً ... فصبراً على مكروهها والعواقب
ولم أرها إلا ثلاثاً على منىً ... وعهدي بها عذراء ذات الذوائب
تبدّت لنا كالشمس تحت غمامةٍ ... بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب

وقال أيضاً :

أحنّ إذا رأيتُ جمال قومي ... وأبكي إن سمعت لها حنينا
سقى الغيثُ المجيدُ بلادَ قومي ... وإن خلت الديارُ وإن بلينا
على نجدٍ وساكنِ أرض نجدٍ ... تحياتٌ يَرُحنَ ويغتدينا

وقال أيضا :

بنفسي مَن لا بدّ لي أن أهاجره ... ومَن أنا في الميسور والعُسر ذاكرُهْ
ومَن قد رَماه الناس بي فاتقاهمُ ... بهجري إلاّ ما تُجِنّ ضمائره
فمن أجلها ضاقت عليّ برَحبها ... بلادي إذا لم أرضَ مَن أجاوره
ومن أجلها أحببتُ مَن لا يُحبني ... وباغضتُ من قد كنتُ حيناً أعاشره
أتهجرُ بيتاً للحبيب تعلّقتْ ... به الحبُّ والإعدامُ أم أنت زائره

وكيف خلاصي من جوى الحب بعدَما

يُسَرُّ به بطنُ الفؤادِ وظاهره

وقد مات قبلي أوّل الحبِ فانقضى
فإن مِتُّ أضحى الحبُّ قد مات آخره

وقد كان قلبي في حجابٍ يكنه ... فبكِ من دون الحجاب يباشره
أصدُّ حياءً أن يلجَّ بيَ الهوى ... وفيكِ المنى لولا عدوٌّ أحاذره

وقال أيضاً :

يا مَن شغلتُ بهجره ووصاله ... همَمُ المنى ونسيتُ يوم معادى
والله ما التفتَ الجفونُ بنظرةٍ ... إلا وذكرك خاطرٌ بفؤادى

وقال أيضاً :

ومفروشةِ الخدَّين وَرداً مضرَّجا ... إذا جشته العينُ عادَ بنفسجا(١)
شكوتُ إليها طول ليلي بعبرةٍ ... فأبدت لنا بالغنج دُرّاً مفلجا(٢)
فقلت لها مُنّي عليّ بقبلةٍ ... أداوي بها قلبي فقالت تغنَّجا
بليتُ بردفٍ لستُ أستطيعُ حمله ... يجاذب أعضائي إذا ما تَرَجرَجا

وقال أيضاً :

فؤادي بين أضلاعي غريبٌ ... ينادي مَن يحبُّ فلا يجيب

---

(١) مضرجاً : ملطخ بالدم والمعنى هنا أحمر اللون ، جشته العين : غازلته .
(٢) الغنج : من تدلل النساء المثير ، وابتسامهن درراً : يقصد الأسنان ، مفلجا : بين أسنانه مسافات وهو من علامات الجمال .

أحاطَ به البـــلاءُ فكلُّ يومٍ تقارعه الصـــبابة والنحيب
لقد جلب البـــلاءَ علىّ قلبي فقلبي مذ علمتُ له جَـــلوب
إن تسكنِ القلوبُ كمثلِ قلبي فلا كانت إذاً تلك القلوبُ

وقال أيضاً :

ومستوحشٌ لم يُمس فى دار غربةٍ ولكنه ممن يودُّ غريب

وقال أيضا :

بيضاءُ باكرها النعيم كأنها قمرٌ توسط جنحَ ليلٍ أسودِ
موسومة بالحسن ذات حواسد إن الحسان مظنةُ الحسد
وترى مدامعها ترقرق مُقلةً سوداءترغب عن سواد الإثمد(١)
خَوْدٌ إذا كثر الكلامُ تعوّذت بحمى الحياءِ وإن تكلمْ تُقصد(٢)

وقال أيضاً :

أحنُّ إلى نجدٍ وإنى لآيسُ طوالَ الليالى من قفولٍ إلى نجد
وإن يكُ لا ليلى ولانجدٌ فاعترفْ بهجرٍ إلى يوم القيامة والوعد

---

(١) ترقرق : تنسال ، الاثمد : الكحل .
(٢) خود : حسنة الخلق ، تكلم : تتكلم ، تقصد : تقتصد فى الكلام .

وقال أيضاً :

ألا إنما أفنى دموعى وشفّنى ... خروجى وتركى من أحب ورائيا
ومالِىَ لا يستنفدُ الشوق عبرتى ... إذا كنتُ من دارِ الأحبةِ نائيا
إذا لم أجد عذراً لنفسى ولُمتها ... حملتُ على الأقدار ما كان جاريا

قال : فلما فرغ من إنشاد هذه الأشعار ظهر له غزالان فى أصل جبل ، فتبعهما حتى وقف بحذائهما وجعل ينظر إليهما ويبكى ويقول :

أيا جبلَ الثلج الذى فى ظلاله ... غزالان مكحولان مؤتلفانِ
غزالان شبّا فى نعيم وغبطةٍ ... ورَغدةِ عيشٍ ناعمٍ عَطِران
أرَغتهما ختلاً فلم أستطعهما ... ففرّا وشيكاً بعد ما قتلانى
خليلىَّ أمّا أمُّ عمرٍو فنهما ... وأما عن الأخرى فلا تسألانى
فما صادياتٌ جِمنَ يوماً وليلة ... على الماء دون الوِردِ هُنّ حوان(١)
يرَينَ حبابَ الماءِ والموتُ دُونه ... وهنّ لأصواتِ السقاء رَوان(٢)

---

(١) صاديات : عطشى ، جمن : استرحن وذهب إعياؤهن ، الورد : إتيان الماء ، حوان : جمع حائنة أى هالكة .

(٢) حباب الماء : بالفتح أى معظم الماء وقيل نفاخاته التى تعلوه (الصحاح) ، روان : من رنا إلى الشىء إذا أدام النظر إليه ، السقاء : صوت انسكاب الماء من القربة .

بأكثرَ منى حسرةً وصبابةً إليها ولكن الفراق عرانى
خليلىَّ إنى ميتٌ أو مُكلمٌ لليلى بحاجى فامضيا وذرانى[1]
أقِلْ حاجتى وحدى فيا رُبَّ حاجةٍ قُضيتْ على هولٍ وخوفِ مكان
وإنَّ أحقَّ الناس منى تحيةً وشوقاً لها مَن لو يشاء شقانى
ومَن قادنى للموت حتى إذا صنتْ مشاربه سُمَّ الذُّعاف سقانى

وقال أيضاً :

أحبك حباً لو تحبين مثله أصابك مِن وجدٍ علىَّ جنون
وصرتُ بقلبٍ عاش أما نهارُه فحزنٌ وأما ليله فأنين

ثم نهض من الوادين ومر على وجهه يدور فى الصحراء فمر برجلين قد قنصا ظبياً وربطاه، فدنا منهما المجنون وتأمله ساعة ثم قال لهما اختارا شاةً من غنمى مكانه وخلياه، فأبيا عليه، فلم يزل بهما حتى أعطاهما أربع شياه من غنمه مكانه، ثم خلياه، فأنشأ يقول :

شريتُ بشاتى شبهَ ليلى ولو أبوا لأعطيتُ من مالى طريفى وتالدى
فلو كنتما حُرَّين ما بعتما معاً شبيهاً لليلى بيعةَ المتزايد
وأعتقتماها رغبةً فى ثوابها ولم ترغبا فى ناقصٍ غير زائد

---

(١) ذرانى : اتركانى .

وقال أيضا :

يا صاحبيَّ اللذين اليوم قد أخذا ... فى الحبلِ شبهاً لليلى ثم غلاّها
إنى أرى اليومَ فى أعطاف حبلكما ... مشابها أشبهتْ ليلى فحَلاها
وأرشداها إلى خضراء معشبة ... يوماً وإن طلبت إلفاً فدُلاها
وأوردِاها غديراً لا عـِدمتكما ... من ماءُ مزنٍ قريبٍ عند مرعاها

ثم أنه مر ببنى عمه، وكانوا معادين له يسخرون منه ويهزءون به ويقولون كيف ليلى وكيف حبك لها ؟ فإذا ذكرت ليلى له رجع إليه عقله فيجلس إليهم يحدثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر . فيقولون والله ما به من جنون وإنه لعاقل ، فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العبرة وأنشأ يقول :

أيا ويح مَن أمسى يُخَلّسُ عقله ... فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ
خليعاً من الخلان إلا معذّبا ... يضاحكنى مَن كان يهوى تجنبي
إذا ذُكرت ليلى عقلتُ وراجعتْ ... روائعُ قلبي مِن هوًى متشعب
وقالوا صحيحٌ ما به طيف جِنةٍ ... ولا الهمُّ إلا بافتراء التكذُّب
ولى سقطاتٌ حين أغفل ذكرَها ... يغوصُ عليها مَن أراد تعَقبي

وشاهدُ وَجدى دمعُ عينى وحبها
برَى اللحمَ عن أحناءِ عظمى ومنكبي

تجنبتُ ليلى أن يلجَّ بيَ الهوى وهيهات كان الحب قبل التجنب

فما مغزلٌ أدماء بات غزالها بأسفلِ نهيٍ ذي عِرارٍ وخُلَّب(١)

بأحسنَ من ليلى ولا أمُّ فرقد

غضيضةُ طرفٍ رعيُها وسطَ ربرب(٢)

نظرتُ خلال الركب في رونق الضحى

بعيـــنَيْ قطامى نما فوق عُرقب(٣)

إلى ظعنٍ تُحدى كأنّ زهاءها نواعمُ أثلٍ أو سُقياتُ أثلبِ(٤)

ولم أر ليلى غير موقفِ ساعةٍ ببطنِ منًى ترمي جمارَ المحصَّب(٥)

---

(١) مغزل : أم الغزال ، أدماء : المائلة إلى البياض ، نهى : غدير به ماء ، عرار : نبت طيب الريح ، خلب : السحاب الخادع الذى لا ماء فيه .

(٢) أم فرقد : الفرقد : ولد البقرة ، غضيضة طرف : تغض الطرف حياء ، ربرب : قطيع من بقر الوحش .

(٣) قطامى : الصقر طائر من الكواسر يشبه النسر ، عرقب : الطريق الضيق .

(٤) زهاءها : شبهها ، الأثل : شجر واحدته أثلة ، الأثلب : بالفتح ويكسر — التراب والحجارة ، جفن السيف : غمده .

(٥) المحصب : موضع الجمار بمنى .

فأصبحتُ مِن ليلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقاب نجم مغرَّب

ألا إنما غادَرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذهب

حلفتُ بمن أرسى ثبيراً مكانه ... عليه ضبابٌ مثلُ رأس المعَصَّب(١)

وما يسلُك المومَاةُ من كل نقصة

طليحٌ كجفن السيف تهدَى لِمَركب(٢)

خوارج من نعمانَ أو من سُفوحه ... إلى البيت أو يَطلعْن من نجد كبكب(٣)

له حَظُّهُ الأوفَى إذا كان غائبا ... وإن جاء يبغى نَيلنا لم يؤنَّب

لقد عشتُ من ليلى زماناً أُحبها ... أرى الموت منها في مجيئي ومذهبي

ولما رأت أن التفـــرق فلتةٌ ... وأنّا متى ما نفترق نتشعب

أشارت بموشـــوم كأن بَنانه

من اللين هُدابُ الدَّمقس المهذَّب(٤)

---

(١) ثبير : جبل ، المعصب : الذى لف رأسه بعصابة .

(٢) المومَاة : الصحراء ، الطليح : البعير المهزول .

(٣) نعمان : جبل ، كبكب : منكبات .

(٤) الدمقس : نسيج فاخر كالقز أو الكتان ، هداب : خيط رقيق ، موشوم : عليه وشم وهو يصف هنا يدها .

قال عوانة :

خرج منا رجل إلى وادى القرى مع جماعة يمتارون(١) ، فمروا على طريقهم وعثروا بالمجنون ، فقالوا يا قيس نراك محباً لليلى ؟ فقال نعم ، قالوا أفلا تأتى جبلى نعمان ؟ قال فأية ريح تهب من أرضها ؟ قالوا : الصبا ، فأقام بها وأنشأ يقول :

أيا جبلَىْ نعمانَ بالله خليّا سبيلَ الصبا يخلُص إلىّ نسيمُها

أجدْ بردَها أو يُشْفِ منى حرارةً على كبدٍ لم يبقَ إلا صميمها

فإنّ الصبا ريحٌ إذا ما تنسمت على نفس محزونٍ تجلتْ همومها

ليـــالِىَ أهلونا بنعمانَ جيرةً وإذا نحن منْ أرضها بدارٍ نقيمها

ألا إن أدوائى بليلىَ قديمةٌ وأقتلُ داءِ العاشـــقين قديمها

تذكرتُ وصلَ الناعجياتِ بالضحى ولذةَ عيشٍ قدْ تولّىَ نعيمها

وأنتِ التى هيجتِ عينى بالبكا فأسجمَ عُذْرباها فطالَ سجومها(٢)

---

(١) يمتارون : يطلبون طعاماً .

(٢) أسجم : أسال دمعها ، عذرباها : ماؤها الجارى ، سجومها : انسكاب دمعها .

وقد قذيتْ عيني بليلى وأتبعتْ قذاها وقد يأتى على العين شؤمها(١)
خليليَّ قوما بالعصابةِ فاعصبا على كبدٍ لم يبق إلا رَميمها(٢)

وقال :

خليليَ مُرّا بي على الأبرقِ الفردِ وعهدى بليلىَ حبذا ذاكَ من عهدِ(٣)
ألا يا صبا نجدٍ متى هجتِ من نجـــد
فقد زادنى مَسْراكِ وَجداً على وجدى
إذا هتفتْ وَرقاءُ فى رونقِ الضحى على فَننٍ غضِ النباتِ من الرَّند(٤)
بكيتُ كما يبكى الوليد ولم أزل جليداً وأبديتُ الذى لم أكنْ ابدى
وأصبحتُ قد قضيتُ كلَّ لبانةٍ تِهاميةٍ واشتاق قلبى إلى نجد(٥)
إذا وعدتْ زاد الهوى لانتظارها وإن بخلتْ بالوعدِ متُّ على الوعد

---

(١) قذيت عينى : سقط فيها ما ليس منها ، القذى : ما يسقط فى العين ، شومها : شؤمها ضد يمنها أى ضررها وأذاها .
(٢) العصابة : بكسر العين القطعة من القماش تلف على الجرح ، رميمها : الأجزاء المتبقية منها .
(٣) الأبرق : كثيب به حجـــارة ورمل وطين مختلطة ، بالفرد : الوحيد .
(٤) ورقاء : حمامة ، الرَّند : نبت طيب الرائحة ينمو فى البادية .
(٥) لبانة : حاجة ، تهامية : نسبة إلى تهامة .

وإن قربت داراً بكيتُ وإن نأت ... كلفتُ فلا للقرب أسلو ولا البعد

أحنُّ إلى نجدٍ وطيب ترابه ... وأرواحه إن كان نجدٌ على العهد(١)

ألا حبذا نجد وطيب ترابه ... وأرواحه إن كان نجد على العهد

وقد زعموا أن المحبَّ إذا دنا ... يُملُّ وأن النأى يَشفى من الوجد

بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أنَّ قربَ الدار خيرٌ من البعد

على أنَّ قرب الدار ليس بنافع ... إذا كان من تهواه ليس بذى ود

ثم مضى على وجهه واشتد به الشوق فكان لا يلبس قميصاً إلا خرقه ، ولا درعاً إلا مزقه . وترك محادثة الناس وصار لا يفقه شيئاً ، قد اختلس لبه واختطفته الأحزان والكرب ، وخامره الجنون وعلاه الأمر الفظيع ، فإذا ذكرت له ليلى آب إليه عقله وأفاق من غشيته وتجلت عنه غمرته ، فإذا قطع ذكرها عاد إلى وسواسه وسوء حاله ، يأنس بالوحش ويستريح إليه ، ويتنسم الريح من تلقاء نجد .

قال الوالبي : ثم ولى عليهم نوفل بن مساحق ، قال : فبينما نوفل

---

(١) وفى نسخة :

أحن إلى نجدٍ فيا ليت أننى ... سُقيت على سلوانةٍ من هوى نجد

فى بعض طريقه إذ مر برجل عريان كأصبح ما يكون من الرجال وهو قاعد يلعب بالتراب قد جمع العظام حوله ، فدنا منه فقال «والله ما رأيت أعجب من هذا الفتى ، يا غلام اطرح عليه ثوباً » فقال له بعض أصحابه أتدرى من هذا ؟ قال لا ، قالوا هذا مجنون بنى عامر ، قال نوفل : والله لقد كنت أحبه وأحب لقاءه فكيف لى بالدنو منه ؟ قيل له إذا ذكرتَ له ليلى فإنه يأنس . فدنا منه نوفل وقال: أيها المشغوف إن ليلى تقرأ(١) عليك السلام . فلما ذكرها رجع إليه عقله وأقبل إليه يحدثه كأصح ما يكون من الرجال وهو يبكى وينكت الأرض بأصبعه ويقول :

أيا هجرَ ليلى قد بلغتَ بى المدى ... وزدتَ علىّ ما لم يكن بلغ الهجرُ
عجبتُ لسعى الدهر بينى وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكنَ الدهر
فيا حبها زِدنى جوًى كلَّ ليلة ... ويا سلوةَ الأيام موعدك الحشر
تكاد يدِى تندى إذا ما لمستُها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر
ووجه له ديباجةٌ قرشيةٌ ... به تُكشف البلوى ويُستنزل القطر
ويهتز من تحت الثياب قوامها ... كما اهتز غصن البان والفنن الخضر
فيا حبذا الأحياء ما دمت فيهم ... ويا حبذا الأموات إن ضمك القبر
وإنى لتعرونى لذكراكِ نفضةٌ ... كما انتفض العصفور بلله القطر

(١) تقرئك .

عسى إن حجبنا واعتمرنا ومُحـــرِّمت

زيارةُ ليلى أن يكون لنـــا الأجر

فما هو إلا أن أراها فُجـأةً فأبهت لا أعرفُ لدَيَّ ولا أنكر

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصـــا

وبالصخرة الصماء لانْصـــدَع الصخر

ولو أن ما بي بالوحوش لمـا رعتْ

ولا ساغها المـاء النميرُ ولا الزهرُ(١)

ولو أن ما بي بالبحار لمـا جرى بأمواجها بحرٌ إذا زخر البحر

قال له نوفل :

الحب صيَّرك إلى ما أرى ؟ قال : اللهم نعم وسيبلغ بي أكثر مما ترى ، واندفع ينشـــد :

أيا حدجاتِ الحي حين تحملوا بذي سَلمٍ لا جادَ كن ربيعُ (٢)

وخيماتكِ اللاتي بمنعرج اللوَى بُلينَ بِلىً ما إنْ لهن رُجوع

---

(١) ساغها : حلا لها وطاب ، النمير : الصافي .

(٢) الحدجات : جمع حدج بالكسر وهو المحفة التي تركبها النساء ، ذي سلم : موضع ، جادكن : أمطركن .

إلى الله أشكو نيةً شقّت العصا ... هى اليوم شتى، وهى أمسُ جميع

فلو لم يهجنى الظاعنون لهاجنى ... نوائحُ وُرقٍ فى الديار وُقوع

تداعين فاستبكين من كان ذا هوًى ... نوائحُ لا تجرى لهن دموع

لعمرىَ إنى يوم جرعاءَ مالكٍ ... لعاصٍ لأمرِ العاذلين مطيع(١)

وما كاد قلبى بعد أيام جاوزتْ ... إلىّ بأجوازِ البَدِىِّ يُريع(٢)

وإنّ انهمال الدمع يالىلُ كلما ... ذكرتكِ يوماً خاليا لَسريع

ندمتُ على ما كان منى ندامةً ... كما ندم المغبونُ حين يبيع

لَعَمرك ما شىءٌ سمعتُ بذكره ... كبينك يأتى بغتةً فيروع

عَدِمتكِ من نفسٍ شعاع فإننى ... نهيتكِ عن هذا وأنتِ جميع(٣)

فقربتِ لى غير القريب وأشرفتْ ... هناك ثنايا ما لهن طلوع

يُضعفنى حبِّيك حتى كأننى ... من الأهل والمال التليد نزيع

---

(١) جرعاء : رملة مستوية لا تنبت شيئا ، لعمرى : قسم بمعنى أقسم بعمرى .

(٢) أجواز : جمع جوز أرض بها أشجار ، والبدى : يجوز أنها البادية ، يريع : يفزع .

(٣) نفس شعاع : أى نفس قلقة متفرقة ، جميع : أى نفس هادئة مجتمعة العناصر .

وحتى دعانى الناسُ أحمقَ مائقا وقالوا تبوعٌ للضلال مطيع

وقال أيضا :

خليليَّ هذا الربع أعلمُ آيةٍ فبالله عوجا ساعةً ثم سلِّما(١)
ألم تعلما أنى بذلتُ مودتى لليلى وأن الحبل منها تصرَّما(٢)
سألتكما بالله لمَّا قضيتما عليّ فقد وُليتما الحكمَ فاحكما
بجودى على ليلى بودى وبخلها علىّ ، سَلاها أيُّنا كان أظلما
أحنُّ إليها كلما ذرَّ شارق كحب النصارى قدسَ عيسى ابن مريما
فوالله ثم والله إنى لصادقٌ لَذكرِكِ فى قلبى أجلّ وأعظما
كلامكِ أشهى فاعلمى لو أناله إلى النفس من برد الشراب على الظما
ووالله ما أحببتُ حبك فاعلمى لسكرٍ ولا أحببت حبك مأثما
لقد أكثر اللوّامُ فيكِ مَلامتى وكانوا لما أبدوا من اللوم ألوَما
وقد أرسلتْ ليلى إلىّ رسولها بأن ائتنا سراً إذا الليلُ أظلما
فجئتُ على خوفٍ وكنتُ معوذاً أحاذر إيقاظا عداةً ونوَّما
فبتُّ وباتت لم نهمّ بريبةٍ ولم نجترح ياصاحِ والله مَحْرَماً

---

(١) عوجا : فعل أمر من عاج بالمكان إذا أقام به .
(٢) تصرما : انقطع الحبل ، الحبل : هنا كناية عن الوصل .

وكيف أعزى القلب عنها تجلداً وقد أورثتْ فى القلب داءً مكتما
فلو أنها تدعو الحَمامَ أجابها ولو كلمت ميتاً إذاً لتكلما
ولو مسحت بالكف أعمى لأذهبتْ
عماه وَشيكاً ثم عاد بلا عمى
منعمةٌ تسبى الحليمَ بوجهها وتزين منها عفةً وتكرُّما
فتلك التى مَن كان داءٌ دواؤه وهاروتُ كلَّ السحر منها تعلما

فلما أتم هذه الأبيات قال له نوفل: هل لك أن تجىء معى حتى أقدم بلادك وأخطبها لك وأرغبهم فى جميع ما يحتاجون إليه ؟ قال هل أنت فاعل ذلك ؟ قال « نعم والله إن خرجت معى لأجهدن ولو غرمت فيك ملكى وما حوته يدى » ثم أمر فأدخل الحمام وأمر الحجام فأخذ شعره ، وغير حليته وكساه كسوة فاخرة ، فلما خرج نوفل أخرج المجنون معه ، فلما كان بالقرب من بلادهم بلغهم ذلك فتلقوه بالسلاح الشاك وقالوا « والله لا يدخل المجنون منزلنا أبدا وقد أهدر السلطان دمه » وأقبل عليهم نوفل وأدبر فأبوا إلا المحاربة وتشمروا للمقارعة ، فلما رأى نوفل ذلك قال « انصرف فإن الأمر عندهم لصعب » فانصرف المجنون عنه بخيبة ، وقد كان أمر له نوفل بقلائص فردها عليه ، وقال : ما وفيتَ لى بالعهد ثلاثا ، وأنشأ يقول :

تَرددتُ قلائصَ القرشى لما رأيتُ النقضَ منه للعهودِ
وراحوا مقصرين وخلّفونى إلى حزنٍ أعالجه شديد
أحبُّ السبتَ مِن كلفٍ بليلى كأنى يومَ ذاك من اليهود

وحُدِّثتُ عن أبى عمرو الشيبانى قال : كان سبب توحش المجنون أنه كان ذات يوم بقرية فناداه مناد وهو يقول :

كلانا يا أُخَىَّ نحب ليلى يبثّ وفيكَ مِن ليلى التراب
لقد خُتلتْ فؤادَك ثم بانتْ بقلبى فهو مهمومٌ مصاب

قال : فتنفس الصعداء وغشى عليه ساعة ، فكان سبب توحشه هذه الأبيات .

قال أبو بكر الوالبى : لما انصرف المجنون عن نوفل بخيبة ، وأبى أهلها أن يزوّجوها منه ، مرّ على وجهه والصبيان يصيحون « من أراد أن يرى عاشقاً سميناً فلينظر إلى هذا » فأنشأ يقول :

أرى الناسَ أمّا مَن تجدد وصله ففتٌ وأما من خلا فسمينُ
تخبرنى الأحلام أنّى أراكم فياليتَ أحلام المنام يقين

شهدتْ بأنى لم أخنـــكِ مودةً وأنى بكم حتى الممات ضنين
وأن فؤادى لا يلين إلى هوًى سواكِ وإن قالوا بَلىَ سَيلين

وقال أيضاً :

أنفسُ العاشقين للشوق مَرضى وبـــلاء المحب لا يَتقضىَ
عبراتُ المحب كيف تراها بعضها يَستحثُّ فى الخد بعضا
ليس يخلو أخو الهوى أنْ تراه كلَّ يومٍ يُلام أو يَترضى
باكيا ساهيا نحيلا ذليـــلا ليس يهدا وليس يطعم غمضا

وقال أيضا :

ألا ليتنا كنا غزالين نرتعى رياضاً من الحوزان فى بلدٍ قفرِ(١)
ألا ليتنا كنا حمائمْ مفازةٍ نطير ونأوى بالعشيِّ إلى وكر
ألا ليتنا حوتان فى البحر نرتمى إذا نحن أمسينا نلجَّجُ فى البحر
ويا ليتنا نحيا جميعا وليتنـــا نصير إذا متنا ضجيعين فى قبر
ضجيعين فى قبرٍ عن الناس معزلٍ
ونُقبَرَن يوم البعث والحشر والنشر

وقال أيضا :

أرِقتُ وعادَنى همٌّ جـــديد فجسمى للهـــوى نِضوٌ بليدٌ

---

(١) نرتعى : نرعى ، الحوزان : نبت قصير طيب الطعم .

أراعِى الفـــرقدين مع الثريا كذاك الحب أهونه شديد(١)
علقتُ مليحةَ الخدين وَرداً تُشبه حسنَ مطلعها السعود(٢)
أهيم بذكرها وأظل صَـــبّا وعينِىَ بالدموع لها تجود
ألا ليت لحدكِ كان لحدى إذا ضمتْ جنائزنا اللحـــود

قال : فبينما هو ذات يوم يدور إذ أبصر سرباً من الظباء ، فأنشأ يقول :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلةٍ إنى إذاً لصبورُ
يعيبوننى امرأً منكم أضل بعيرَه له ذمّةٌ إن الذمام كبير
وللصاحب المتروك أعظمُ حرمةٍ على صاحبٍ من أن يضلّ بعير
عفا الله عن ليلى الغـــداةَ فإنها إذا وليتْ حكماً علىّ تجور
فما أكثرَ الأخبارَ أنْ قد تزوجتْ فهل يأتِنى بالطلاق بشير

وقيل : خرج الملوح أبو المجنون فى عدة من عشيرته ومعه المجنون وذلك قبل أن يفشو أمره ، فمر بواد يقال له « البلاكث » فبينما هم فى

---

(١) أراعى : أنظر وأراقب ، الفرقدين : نجمين قريبين من القطب ، الثريا : النجوم .
(٢) علقت : أحببت .

سيرهم إذ قال المجنون لفتى منهم كان يأنس به ويفشى سره إليه «ويحك إنى ذكرت ليلى ولا بد والله من الانصراف فإن نفسى تكاد تهلك شوقاً إليها » فناشـــده ، فأبى ، فقال « استأذن أباك » فقال « إذاً لا يأذن لى ولكن أنا منصرف وحدى » قال « وأنا معك ولكنى أعلم أخى » فأعلمه فقال « وأنا معكما ». فتخلفوا كأنهم يقضون حاجة ثم عبروا وحوّلوا رؤوس إبلهم . وقال :

بينما نحن بالبـــلاكث بالقا ع سِراعا والعيسُ تهوِى هُويا
خطرتْ خطرةٌ على القلب من ذكـ ـراكِ وَهناً فما استطعتُ مضيا
قلتُ لبيكِ إذ دعانى لكِ الشو قُ وللحادِيين كرٌّ المطيا

قال الوالبى : فلما طار به الوجد ولم يقدر على النظر ، خرج متنكراً يريد حى ليلى ، فلما انتهى إلى قرب الحى بقى متحيراً لم يدر كيف يحتال ويصنع فى دخول الحى عسى أن ينظر إليها نظرة ، فبينما هو كذلك إذ رأى عجوزاً معها سائل فى عنقه سلسلة تدور به على الأبواب ، فقال يا عجوز ما تريدين من هذا السائل ؟ قالت « نصف ما يأخذ » قال « ضعى هذه السلسلة على عنقى وخذى ما علىّ من الثياب » فوضعتها على عنقه وأقبلت تدور به على الأبواب والصبيان يرمونه بالحجاره ويصيحون بالكلاب عليه ، فلما صار قريباً من خباء ليلى أنشد يقول :

هنيئاً مريئاً ما أخذتِ وليتنى ... أراها وأعطى كل يوم ثيابيا
ويا ليتها تدرى بأنّى خليلها ... وأنى أنا الباكى عليها بكائيا
خليلىّ لو أبصرتمانى وأهلها ... لدىّ حضورٌ خلتمانى سوائيا(١)
ولما دخلتُ الحى خلفتُ مُوقدى ... بسلسلةٍ أسعى أجرُّ ردائيا
أميلُ برأسى ساعةً وتقودنى ... عجوزٌ من السوّال تسعى أماميا
وقد أحدق الصبيانُ بى وتجمعوا ... علىّ وشدّوا بالكلاب ضواريا
نظرتُ إلى ليلى فلم أملك البكا ... فقلت ارحموا ضعفى وشدةَ ما بيا
فقامت هيوباً والنسا من أجلها ... تمشين نحوى إذ سمعن بكائيا(٢)
معذِّبتى لولاكِ ما كنتُ سائلا ... أدور على الأبواب فى الناس عاريا
وقائلة وارحمةً لشبابه ... فقلت أجل وارحمةً لشبابيا
أصاحبةَ المسكينِ ماذا أصابه ... وما باله يمشى الوَجَى متناهيا(٣)
وما باله يبكى فقلتِ لِما به ... ألا إنما أبكى لها لا لما بيا
بنى عمِّ ليلى مَن لكم غير أننى ... مُجيدٌ لليلى ما حَييتُ القوافيا
ودَدتُ على طِيبِ الحياة لو انها ... يزاد لليلى عمرُها مِن حياتيا

---

(١) سوائيا : أى شخص آخر سواى من فرط تغير حالى .
(٢) هيوباً : خائفة وجلة ، النسا : النساء صويحباتها .
(٣) يمشى الوجى : يمشى حافى القدمين .

فما زادنى الواشون إلا صبابةً وما زادنى الناهون إلا أعاديا
ففيا أهلَ ليلى كثَّرَ اللهُ فيكم مِن أمثالها حتى تَجودوا بها ليا
فما مسَّ جنبي الأرضَ حتى ذكرتها وإلا وجدتُ ريحها فى ثنائيا

فلما فرغ من شعره مر على وجهه عريانا لا يلوى على شىء ، فمر بطبيبين وهما على قارعة الطريق فدنا منهما وقال : هل فيكما من يداوينى ؟ قالا : من أنت ؟ قال : المجنون المستهام ، قالا : ما للعشاق عندنا دواء هو أبلغ من حبيب ضجيع إلى جنبه . فقال :

طبيبانِ لو داويتمانى أُجِرتُما فما لكما تستغنيان عن الأجرِ
فقالا بحزنٍ :ما لكَ اليومَ حيلة فمتْ كمداً أو عَزِّ نفسك بالصبرِ

وقالوا دواء الحب غالٍ وداؤه
رخيص ولا ينبيكَ شىءٌ كمن يدرى

فما برحا حتى كتبتُ وصيتى
ونشرت أكفانى وقلتُ احفروا قبرى

فما خيرُ عشقٍ ليس يقتل أهلَه كما قتل العشاقَ فى سالفِ الدهرِ
ألا حبذا البيض الأوانس كالدمى وإن كنَّ يُسكرن الفتى أيما سكرِ

قال : فما مضى إلا قليل إذ هو بغراب ساقط على شجره ينعق فدنا منه وقال :

ألا ياغرابَ البينهيجتَ لوعتى فويحك خبرنى بما أنت تصرخ
أبالبينِ مِن ليلى فإن كنتَ صادقا فلا زال عظمٌ من جناحك يُفسخ(١)
ولازال رامٍ فيك فوّق سهمه فلا أنت فى عش ولا أنت تُفرخ(٢)
ولازلتَ عن عذب المياه منفّرا ووكرك مهدوماً وبيضك يُرضخ(٣)
فإن طرتَ أردَتكَ الحتوف وإن تقعْ
تَقَيَّض ثعبانٌ بوجهك ينفخ(٤)
وعاينتَ قبل الموت لحمَكَ مشدَخا
على جمرِ حرِّ النار يُشوى ويطبخ
ولا زلتَ فى شر العذاب مخلدا وريشك منتوف ولحمك يشرخ

---

(١) يفسخ : ينقطع وينفصل عنوة .
(٢) فوّق : صوّب نحو الأعلى ، تفرخ : تضع فراخاً وهى صغار الطير .
(٣) منفراً : مبعداً ، يرضخ : يداس عليه .
(٤) الحتوف : الموت ، تقيض : تهيأ وظهر .

وقال :

أقول وقد صاح ابنُ دأبةَ غدوةً ببعد النوى لا أخطأتك الشبائكُ(١)

أفى كل يومٍ رائعى أنت روعةً ببينونةِ الأحباب إلفك فارِكُ(٢)

ولا بضتَ فى خضراءَ ما عشتَ بيضة

وضاقت برحبها عليك المسالك

وفارقتَ أم الأفرُخ السوء عن قِلىً

وناحت على ابنيكَ الضروسُ المماحك(٣)

وأصبحتَ من بين الأحبة هالكا كما أنّىَ من بين الأحبة هالك

وقال :

أمن أجل غربانٍ تَصايحن غدوةً ببينونة الأحباب دمعك سافحُ

نعم جادت العينان مِنى بعبرةٍ كما سُلّ مِن نظم اللآلى تطارُح

ألا ياغرابَ البين لاصحتَ بعده وأُمكِنَ من أوداج حلقك ذابح

---

(٥) ابن دأبة : كناية عن الغراب ، الشبائك : شباك الصياد .

(٦) رائعى : مفزعى ، بينونة : فراق ، فارك : من فرك الثوب أو السنبل إذا فتته .

(٧) الأفرخ السوء : صغار الطير الملاعين ، عن قلى : عن بغض ، الضروس : صيغة مبالغة أى شديدة الضروس . المماحك : المبغض .

يَرُوعُ قلوبَ العاشقين ذوى الهوى إذا أمنوا الشنحاجَ أنك صائح(١)
وعدْ سواءَ الحبِّ واتركه خاليا وكنْ رجلاً واجمح كما هو جامح

ثم مضى على وجهه ، فبينما هو يدور إذ مر بأطيار على أشجار يجاوب بعضها بعضا ويهدرن ، فدنا منهن وقال :

ألا ياحمامات الحِمَى عُدْنَ عودةً
فإنى إلى أصـــواتكن حَنونُ
فعدنَ فلما عُدن عُدن لشقوتى وكدتُ بأسرارٍ لهن أبين
وعدن بقَرقار الهـــدير كأنما شربنَ مُداماً أو بهن جنون(٢)
فلم ترَ عيني مثلهن حمائما بكينَ فلم تدمع لهن عيون
وكنّ حماماتٍ جميعا بِعيطلٍ فأصبحنَ شتى ما لهن قرين
فأصبحن قد قرقرن إلا حمامةً لها مثلُ نوْح النائحات رنين
تذكرنى ليلى على بعد دارها رواجفُ قلب مات وهو حزين
إذا ما خلا للنومِ أرّق عينه نوائح ورْق فرشهن غصون
تداعين من بعد البكاء تألفا فقلن أرياشاً وهنّ سكون
فيالَيت ليلى بعضَهن وليتنى أطيرُ ودهرِى عندهن ركين

---

(١) الشنحاج : صوت الغراب .
(٢) قرقار : ترديد الصوت ، الهدير : صوت الحمام ، مدام : خمر .

إنما ليلى عصا خيزُرانةٍ إذا غمزوها بالأكفِّ تلين

وقال أيضا :

أجَدَّكِ يا حماماتِ بطوقٍ فقد هيجتِ مشغوفا حزينا
أغرّك يا حماماتِ طريقُ بأنى لا أنام وتهجعينا
وأنى قد برانى الحبُّ حتى ضنيتُ وما أراك تَغَيَّرينا
أراد الله مَحلك فى السُّلامى إلى مَن بالحنين تشوّقينا(١)
ولستِ وإن حننتِ أشدَّ وجدا ولكنى أسِرُّ وتُعلنينا
وبى مثل الذى بكِ غيرَ أنى أَحلُّ عنِ العقال وتُعقلينا(٢)
أما واللهِ غيرَ قِلىً وبُغض أشدُّ ولم أزلْ جَزِعا حزينا
لقد جُعلتْ دواوينُ الغوانى سِوى ديوان ليلى مُمحلينا(٣)
فقِدْماً كنت أرجى الناس عندى وأقدرهم على ما تطلبينا
ألا لا تنسينَّ روعاتِ قلبى وعِصيانى عليكِ العاذلينا

---

(١) محلك : المحل الإجداب وهو انقطاع المطر ويبس الأرض ، السلامى : العظام .

(٢) أحل : أمتنع وأتخلص ، العقال : الأسر .

(٣) ممحلين : أى متروكة مهملة لا يلتفت إليها .

وقال أيضا :

أإن سجعتْ فى بطن وادٍ حمامةٌ
تجاوِبُ أخرى دمعُ عينكَ دافقُ
كأنكَ لم تسمعْ بكاءَ حمامةٍ بليلٍ ولم يُحزنك إلفٌ مفارق
ولم تر مفجوعا بشىءٍ يحبه سواكَ ولم يعشق كعشقكَ عاشق
بلى وأفق عن ذكرِ ليلى فإنما أخوالحب مَن ذاق الهوى وهو تائق

ثم جلس متفكرا حزينا ثم هام على وجهه ، فبينما هو سائر إذ مر بسرب من قطا يتطاير ، فقال :

شكوتُ إلى سرب القطا إذ مررن بى
فقلت ومثلى بالبكاء جديرُ
أسربَ القطا هل مِن مُعيرٍ جناحه
لعلّى إلى مَن قد هويتُ أطير
وأىُّ قطاةٍ لم تُعرنى جناحها فعاشتْ بضرٍ والجناح كسير
وإلا فمن هذا يؤدى رسالةً فأشكره إن الحبَّ شكور
إلى الله أشكو صبوتى بعد كربتى ونيرانُ شوقى ما بهن فتور(١)

---

(١) صبوتى : ميلى وافتتانى ، فتور : هدوء .

فإنى لقاسى القلب إن كنتُ صابرا غداةَ غدٍ فيمن تَسيرُ تَسير
فإن لم أمُت غماً وهماً وكربةً يعاودنى بعد الزفيرِ زفير
إذا جلسوا فى مجلسٍ نذروا دمى فكيف تراها عند ذاك تُجير
ودون دمى هزُّ الرماح كأنها تَوَقُّدُ جمرٍ ثاقبٍ وسعير
وزرقٌ سَقيلُ الموتِ تحت ظُباتها ونَيْلٌ وشريانٌ لهن مجير(١)
إذا غمزت أصحابهن ترنمت معطفةً ليستْ بهنَّ كسور(٢)
قطعن الحصى والرملَ حتى تفلقت قلائدُ فى أعناقها وظُفور

وقالت أخاف الموتَ إن يشحطِ النوى
فيا كبدا مِن خوف ذاكَ تَغور

سلوا أمَّ عمرو هل يؤرِّقُ عاشقٌ أخو سَقمٍ أم هلْ يُفكُّ أسير
ألا قل لليلى هل تراها مجيرتى فإنى لها فيما لدىَّ مجير
أظل بحزنٍ إنْ تغنتْ حمامةٌ من الوُرْقِ مِطرابَ العشىِّ بكور
بكت حين درَّ الشوق لى وترنمت فلا صحلٌ تُربى به وصفير(٣)

---

(١) مقيل : من قال يقيل إذا استراح ، الظباة : جمع ظبة وهى حد السيف .
(٢) معطفة : مائلة متمايلة .
(٣) صحل صوته : أى بح .

لها رفقة يسعدنها فكأنما تعاطين كأسا بينهن تدور(١)
بجزعٍ من الوادى فضاءٌ مَسيله وأعلاه أثلٌ ناعمٌ وسَدير(٢)
به بقرٌ لا يبرح الدهرَ ساكنا وآخر وحشى السخال يثور

وقال أيضا :

أجَدَّ بأحياءِ الجميعِ بُكور وبانَ الأخلاءِ الذينَ تزور
وشقَّ عصا الجيرانِ يومَ ترحلوا نوًى بالكليبات عنكَ تَجور(٣)
براعة مكروهٍ من البين لم يكن لها دونَ تكديرِ الصفاء نكير
محبٌ أتاها أن ما بين بيشةٍ ونجرانَ مخضرُّ الجناب مَطير
أيذهب عقلى بعد علمى وإن علا عِذارِىَ مِن بعدِ المشيبِ قَتير
ومستجهلى بعدَ التحلُّمِ نِسوةٌ أشار بليلى نحوهن مشير
تعوَّدن قتلَ المسلمين كأنما لهن دماء المسلمينَ ظهور
وقلن تزوَّجْ ودَعْ ما كان بيننا أجارك مِن رِيبِ الزمان مجير

---

(١) يسعدنها : الإسعاد : عادة جاهلية وهو اجتماع النسوة لمساعدة إحداهن وعادة ما يكون فى الجنازة بالعديد والبكاء .

(٢) جزع من الوادى : منطقة منه ، أثل : شجرة سدير : نبت .

(٣) الكليبات : موضع ، تجور : تبتعد .

أردنَ بلائى ما قضين لبانةً فقد غارَ أو كادَ النجومُ تَغور[1]

وقال أيضا :

شغف الفؤادُ بجـــارةِ الجنب فظللتُ ذا أسفٍ وذا كرْبِ
يا جارتى أمسيتِ مالـــكةً روحى وغالبـــةً على لبى

وذكر أبو إسحق بن الهيثم أن رجلا مر بليلى وهى واقفة على باب خبائها فقالت أين تريد يا عبد الله ؟ فقال أريد بنى عامر ، فزفرت زفرة وقالت :

يا أيها الراكب المزجى مطيته عرّج لأنبىء عنى بعض ما أجدُ
فما رأى الناس من وجدى تضمنهم إلا ووجدٌ به فوق الذى أجد
أهوى رضاه وإنى فى مودته وحبه آخر الأيام أجتهد

فلما بلغ المجنون ذلك كتب إليها مع ذلك الرجل :

وأنت التى كلفتنى دلج السرى وجون القطا بالجلهتين «جثوم»[2]
وأنت التى قطعت قلبى حرارة ورقرقت دمع العين فهو سجوم
وأنت التى أغضبت قومى كلهم بعيد الرضى دانى الصدود كظيم

---

(١) تغور : تختفى .

(٢) ظلمه دلج السرى : السير ليلا فى الظلام ، وجون القطا : الطير أسود البطن ، جثوم : راقدات .

وأنت التى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمتّ بى من كان فيك يلوم
وأبرزتنى للنـــاس ثم تركتنى لهم غرضا أرمى وأنت سليم
فلو أن قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمى من قول الوشاة كلوم

ثم قال: إن المجنون اعتل بعلة فبعثت إليه ليلى تعوده وتقول: إن تهيأتْ زيارتك غدا فعلت. فقال:

تعود مريضا أسقمته بهجرها ولو عادته عاد لا يعرف السقما
لقد أضرمتْ فى القلب ناراً من الجوى
فما تركتْ عظما ولا تركت لحـــا
وإنى على هجرانها وصدودها وما حل بى منها أرى حبها حتما
خليـــلىّ كفى لا تلوما متيما ولا تقتلا صبّا بلومكما ظلما

وقال أيضا:

ومما شجانى أنهـــا يوم ودّعت تقول لنا أستودع الله من أدرى
وكيف أعزى النفس بعـد فراقها
وقد ضاق بالكتمان من حبها صدرى
فوالله والله العـــزيز مكانه
وقـد كاد روحى أن يزول بلا أمرى

خليليَّ مُرّا بعـــد موتي بتربتي
وقولا للبيـــلى ذا قتيلٌ من الهجر

قال أبو بكر : مر رجل بالمجنون وهو يتردد في الرمل فقال : مالك يا أبا المهدى ؟ فقال :

بي اليوم ما بي من هيام أصابني فإياك عني لا يكن بك ما بيا
كأن دموع العين تُسقى جفونها غداة رأت أظعانَ ليلى غواديا
عروبا أثرَّتها نواضح مُعرب معلقةً تروى نحيلا صواديا
أمَرّت فناضت من فروعٍ حثيثة على جدول يعلو فناً متعاديا
وقد بعدوا واستطردوا الآل دونهم
بديمومة قفراً وأنزلتُ جاديا

قال : ثم تأوه واستعبر ، فرأيت دموعه تتبادر على خده كاللؤلؤ المنثور وسمط الجمان المنفصل بالشذور شنعا ووترا . وقال :

ذكرتُ عشية الصدفين ليلى وكل الدهر ذكراها جديدُ
إذا حال الغرابُ الجون دوني فمنقلبي إلى ليـــلى بعيد(١)
علىّ أليةٌ إن كنت أدرى أينقص حب ليلى أو يزيد

---

(١) الجون : الشديد السواد ، منقلبي : عودتي .

لها فى طرفها لحظات حتف تميت بها وتحيي من تريد
وإن غضبت رأيتُ الناس هلكى
وإن رضيت فأرواحٌ تعود

فقلنَ لقد بكيتَ فقلت كلا وهل يبكى من الطرب الجليد
ولكن قد أصاب سواد عينى عويد ندىً له طرفٌ حديد
فقلن فما لدمعهما سواءٌ ؟ أكانتا مقلتيكَ أصابَ عودُ ؟

وقال أيضا :

ألا قاتل الله الهوى ما أشده وأسرعه للمرء وهو جليد
دعانى الهوى من نحوها فأجبته فأصبح بى يستن حيث يريد(١)

حدثنا أبو عمرو الشيبانى قال : حدثنا نوفل بن مساحق قال : خرجت يوما أتضيف الأروى(٢) ومعى جماعة من أصحابى، فلما صرت بناحية الحمى إذا أنا بأراكة(٣) قد بدا منها قطيع من ظباء فى شخص

---

(١) من نحوها : من جهتها ، يستن : يذهب .
(٢) أتضيف : أطعم، الأروى: جمع أروية وهى غنم الجبل البرية .
(٣) أراكة : مجتمع شجر الأراك الذى يؤخذ منه السواك .

إنسان يُرى من ظل تلك الأراكة ، فتعجب أصحابي منه ، وعرفته ساعة رأيته ، فتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويدا حتى أتيت الاراكة ، فرقيت عليها وأشرفت عليه وعلى الظباء ، وإذا أنا به قد تدلى الشعر على حاجبيه وعينيه فلم أكد أعرفه إلا بعد هوى من النهار وهو يرتعى(١) من ثمر الأراك لا يرفع رأسه ، فتمثلت بشيء من شعره وهو :

على ذمتي دارٌ لليلى كأنما ... إزارانِ من بردٍ لها خَلِقان
وكيف إلى ليلى إذا رمّ أعظمي ... وصار وسادي منكبي وبناني
وحلّت بأعلى بيشتين فأصبحتْ ... يمانيةً والرمس غيرَ يمان

وقيل إن المجنون لما شهر أمره بليلى خطبت له، فأبى أبوها أن يزوّجها ، وهكذا كانت العرب إذا شهر رجل بحب امرأة لم يزوجوها منه ، فاشتد وجده وتراقت سورة عشقه ، وكان له عم يقال له يزيد وكان شجاعا بطلا آل أن لا يتزوج المجنون بليلى ولا أحد من الناس إلا قتله ، فأنشا يقول :

---

(١) يرتعى : يأكل .

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى
شقيتَ ولا أدركتَ من عيشك الخفضا
شقيتَ كما أشقيتنى وتركتنى أهيم معا لهلاّك لا أطعم الغمضا
أما والذى أبلى بليلى بليتى وأصفى لليلى من مودتى الحضا
لأعطيتُ فى ليلى الرضا ممن يبيعها
ولو أكثروا لومى ولو أكثروا القرضا
فكم ذاكرٍ ليلى يعيش بكربة فينفض قلبى حين يذكرها نفضا
وحقّ الهوى إنى أحس من الهوى على كبدى نارآ وفى أعظمى مرضا
كأن فؤادى فى مخالب طائر إذا ذكرتها النفس شدّت به قبضا
كأن فجاج الأرض حلقة خاتم علىّ فما تزداد طولا ولا عرضا
وأغشى فيحمى لى من الأرض مضجعى
وأصرع أحيانا فألتزم الأرضا
رضيتُ بقتلى فى هواها لأننى أرى حبها حتما وطاعتها فرضا
إذا ذكرتْ ليلى أهيم لذكرها وكانت منى نفسى وكنتُ لها أرضى
وإن رُمت صبراً أو سلواً بغيرها
رأيت جميع الناس من دونها بعضا

قال: فلما سمع عمه هذه الأبيات رق قلبه له وقال: لا يزوجها

أحد سوى ابن أخى إلا قتلته ، فمكث برهة من دهره ، ثم إن يزيد هلك فأنشأ يقول :

خليلىَّ هل قيظٌ بنعمان راجع ... لياليهِ ، أو أيامهن الصوالحُ
ألا لا ولا أيامنا بمتالع ... رواجع ما أروى بزندى قادح
إذا العيش لم يكدر علىَّ ولم يمت ... يزيدُ وإذ لى ذو العقيدة ناصح

قال فخطبوها من كل جانب ، فأخبرتُ أن أبا ليلى حج بها فرآها رجل من ثقيف، فخطبها ، فزوّجه ، فبلغ ذلك المجنون ، فأنشأ يقول :

ألا إن ليلى العامرية أصبحت ... تَقطع إلا من ثقيفٍ حبالها
إذا التفتتْ والعيسُ صعرٌ من البرى ... بنجلة غشى عبرة العين حالها
فهمْ حبسوها محبس البُدن وابتغى ... بها المال أقوام لا قلَّ مالها

وقال أيضاً :

ألا يا بائعى ليلى بمكة ضلةً ... تبايعتما هل يستوى الثمنان
فما غُبِن المبتاع ليلى بماله ... بل البائعا ليلى هما غبنان

وقال أيضا :

حبيبٌ نأى عنى الزمان بقربه ... فصيَّرنى فرداً بغير حبيب
فلى قلب محزون وعقل مدلَّه ... ووحشة مهجور وذلٌّ غريب

فيا حُقبَ الأيام هل فيكِ مطمع لِردِّ حبيب أو لدفع كُروب

(حكى الوالبي) قال : حدثنا رجل عن إسحق بن إبراهيم الموصلى ، قال : خرج رجل منا إلى ناحية الشام وبلاد نجد فى طلب بعير له ، فأتى أحياء بنى عامر فإذا خيمة رفعت له فقصدها وقد بل المطر ثيابه ، فلما دنا إذ امرأة كلمته فقالت : انزل أيها الرجل ، قال فنزلتُ وحططت رحلى وراحت إبلهم وغنمهم ، فإذا نعم كثيرة ورحـــل خصيب ، فقالت لبعض من كان مع الإبل ، سلوا هذا الرجل من أين أقبل ؟ فقلت من ناحية نجد وتهامة ، فقالت يا عبد الله بمن نزلت هناك ؟ قلت ببنى عامر ، فتنفست الصعداء ، فقالت بأبى ونفسى بنو عامر ، ثم قالت وهل سمعت بفتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون ؟ فقلت نعم والله نزلت بأبيه ولقد أتيته حتى نظرت إليه يهيم فى الصحراء مع الوحوش لا يعقل حتى تذكر له ليلى ، فاذا ذكروها ثاب إليه عقله فيحدّث بحديثها وينشد شعره فيها ، قال فرفعت الستر من بينى وبينها فإذا هى شقة قمر لم تر عينى قط أجمل منها ، وقالت هل تروى شعره ؟ قلت : بلى هو الذى يقول :

أنيرى مكان البدر إن أفل البـــدرُ
وقومى مقام الشمس ما استأخر الفجرُ

ففيك من الشمس المنيرة ضوؤها ... وليس لها منك التبسم والثغر
بلى لك نورُ الشمس والبدر كله ... ولا حملت عينيك شمسٌ ولا بدر
لك الشرقة اللألاء والبدر طالع ... وليس لها منك الترائب والنحر
ومن أين للشمس المنيرة بالضحى ... بمكحولة العينين فى طرفها فتر
وأنّى لها مِنْ دَلِّ ليلى إذا انثنت ... بعينى مهاة الرمل قد مسها الذعر
تبسمُ ليلى عن ثنايا كأنها ... إقاح بحرعاء المراضين أو دُرُّ
منعّمة لو باشر الذرُّ جلدها ... لأثر منها فى مدارجها الذر(١)
إذا أقبلت تمشى تقارب خطوها ... إلى الأقرب الأدنى تقسمها البهر(٢)
مريضة أثناء التعطف إنها ... تخاف على الأرداف يثلمها الخصر(٣)
فما أم خشف بالعقيقين ترعوى ... إلى رَشا طفل مفاصلها خِدر(٤)
بمخضلةٍ جاد الربيع رُهامها ... رهائم وَسْمىٍّ سحائبه غُزر(٥)
وقفنا على أطلال ليلى عشية ... بأجرعَ حزوَى وهى طامسة دُثر

---

(١) الذر : صغار النمل .
(٢) البهر : انقطاع النفس من الإعياء .
(٣) يثلمها : يعيبها .
(٤) خدر : جمع أخدر وهو الضعيف .
(٥) الرهائم : الأمطار ، الوسمى : أول أمطار الربيع .

يجاد بها مزنان أسحمُ باكر وآخر معهاد الرواح لها زجر
وأوفى على روض الخزامى نسيمها
وأنوارها واخضوضل الورق النضر
رواحا وقد حنت أوائل ليلها روائح للإظلام ألوانها كدر
تقلب عيني خازل بين مُرعوٍ وآثار آيات وقد راحت العُفر(١)
بأحسنَ من ليلى معيـــدة نظرة إليّ التفاتاً حين ولت بها السفر
محاذية عيـــني بدمعٍ كأنما تحلّب من أشفارها دُرَرٌ غُزر
فلم أر إلا مقلةً لم أكد بها أشيم رسوم الدار ما فعل الذّكر
رَفعن بها خُوصَ العيون وجوّها مُلفعةً تربا وأعينها غُزرُ(٢)
وما زلت محمـــودَ التصبر في الذى
ينوب ولكن في الهوى ليس لي صبر

فقالت : هل من مزيد ؟ فأنشدتها :

أليسَ الليلُ يجمعني وليلى كفاك بذاك فيه لنا تداني
ترى وضح النهار كما أراه ويعـــلوها النهار كما علاني

---

(١) خازل : منقصف الظهر ، مرعو : عائد ، العفر : جمع أعفر وهو نوع من الظباء .
(٢) خوص العيون : غائرات العيون ، غزر : ضيقة .

قال : فوالله ما أتممت البيتين حتى شهقت شهقة وسقطت على وجهها تبكى حتى ظننت أن كبدها قد تصدعت ، فقلت يا هذه أما تتقين الله الذى إليه معادك ؟ فما عقلت ما قلت لها ، ثم قامت بعد حين وأنشأت تقول :

ألا ليت شِعرى والخطوب كثيرة
متى رَحْلُ قيسٍ مستقلٌ فراجعُ
بنفسى من لا يستقل برَحْله ومَن هو إن لم يحفظ الله ضائع

ثم أقمت عندها ثلاثاً تسألنى عن خبره وتبكى بكاء يتوجع لها كبدى فوالله ما ظننتُ أحداً يجد كوجدها ولوعتها ، فلما أردت الرحيل سألت عنها فإذا هى ليلى العامرية .

وذكر قيس بن معمر قال : قلت لليلى: من أعز خلق الله عليك ؟ قالت : من إذا عَثرتُ نهضت باسمه ، وإذا رقدت حلمت بوجهه : قيس ابن الملوح ، قلتُ : فهل قلتِ فى ذلك شعراً ؟ قالت : نعم . وأنشأت تقول :

إذا ذَهلتْ رِجلى بدأتُ بذكره وأحلُم فى نوْمى به وأعيشُ

إذا ذُكرَ المجنونُ زالت بذكره

قوى النفس أو كاد الفؤادُ يطيشُ

ووالله ما كادَ الفـــؤادُ يُجنُّهُ

وإن كان صدرى من هواهُ يجيشُ

قال أبو جائع لبيد بن عنبسة : حدثنى بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية : والله لئن لم تنتهى عن ذكره لنقتلنكما معاً ، فبعثت إلى القائل على يد مولاة لها رقعة مكتوباً فيها :

توَعَّدَنى قومى بقتـــلى وقتـــله

فقلتُ اقتلونى واتركوه من الذنبِ

ولا تُتبِعوهُ بعد قـــتلى ذِلةً

كفى بالذى يلقاهُ من سَوْرةِ الحبِّ

وقال الحسن بن سهل : أنشدنى أحمد بن إسماعيـــل الكاتب لليلى العامرية :

قد كنتُ حاذِرة للدهرِ عارفةً

أن سوفَ يطلبنى بالرمى مفتقِدا

حتى رمانى بمن قد جلّ عن صفتى
فما أرى لى به ويْلى الغـــداةَ يدا
لقّتُ الدواة بماءِ العـــينِ ثمّ به
كتبتُ ما يكتبُ المجهودُ إذْ جهدا
هذا الوِداعُ لمن روحى الفِداء له
قد خِفتُ أن لا أراه بعدَه أبدا

قال أبو بكر : ذكر أن المجنون لما تراقت علته إلى صعوبة وعسر علاجه ، وأعيا الأطباء دواؤه ، ولم ينجع فيـــه الدواء ، وصار إلى أسوإ حالة من توحشه فى الصحارى، شق ذلك على ليلى وأذهلها ،فدعت بغلام وكتبت إليه : بسم الله الرحمن ، واللهِ يا ابن عم إن الذى بى أضعافُ ما بقلبك ولـكن وجدت السترة أبقى للمودة وأحمد فى العاقبة . وكتبت آخره :

فلوْ أن ما ألقى وما بى من الهوى ... بأرْعنَ رُكناهُ صفاً وحديدُ
تقطّع من وَجدٍ وذابَ حديدُه ... وأمسى تراه العينُ وهْو عميد
ثلاثون يوماً كلّ يومٍ وليلةٍ ... أموتُ وأحيا إنّ ذا لشديدُ

وأمرت الغلام بطلبه حيث كان من الأرض وردِّ الجواب عنه ،

فمضى الغلام ولم يزل يطلبه فى الصحارى حتى أصابه فى يوم صائف شديد القيظ والسموم ، قد لجأ إلى كهف جبل عظيم وهو مطرق ينكت الأرض بأصبعه ويقول :

أحِنُّ إلى ليـــلى وإن شطَّتِ النوَى
بليلى كما حنَّ الـــيراعُ المشيَّبُ
يقولون ليـــلى عذّبتك بحبها
ألا حبذّا ذاك الحبيب المعـذِّب

فدنا منه وقال : يا قيس هذا كتاب ليلى وهى تقرأ عليك السلام ، فلما ذكرها رجع إليه عقله واستوى قاعداً وتناول الكتاب وقرأه وجعل يبكى ويقول :

إذا جاءنى منها الكتابُ بعيْنِه
خلوْتُ ببيتى حيثُ كنتُ من الأرضِ
فأبكى لنفسى رحمـــةً من جفائها
ويبكى من الهُجرانِ بعضى على بعضى
وإنى لأهواها مُسيئاً ومحسناً وأقضِى على نفسى لها بالذى تقضى
فيا متى روحُ الرِّضا لا ينالُنى وحتى متى أيامُ سخطك لا تمضى

ثم أجابها عن كتابها بهذه الأبيات :

أيا مُهدِ لى نعْىَ الحبيبِ صبيحةً ... بمن وإلى مَن جئتما تشيانِ

بمنْ لو رآه عانياً لفـــدَيتُه ... ومَن لو رآنى عانياً لفـــدانى

فمنْ مُبلِغٌ عنى الحبيبَ رسالةً ... بأن فـــؤادى دائمُ الخفقانِ

وأنّىَ ممنوعٌ من النومِ مُذْ نأى ... وعيناى من وَجد الأسى يكِفان

وضمنه :

وجَدتُ الحبَ نيراناً تلظّى ... قلوبُ العاشقـــين لها وَقودُ

فلو كانتْ إذا احترقتْ تفانتْ ... ولكنْ كلما احترقتْ تعودُ

كأهلِ النارِ إذْ نضجتْ جلودٌ ... أُعيدتْ للشقاءِ لهمْ جلودُ

وضمنه :

أما والذى أعطاكِ بطشاً وقـوةً
وصبراً وأزرى بى ونَقّص مِن بطشى

لقد محّض الله الهوَى لكِ خالصا
وركّبهُ فى القلبِ مِنّى بلا غشّ

تبرأ مِن كلّ الجسومِ وحلّ بى
فإن متُّ يوماً فاطلبوهُ على نعشى

سلى اللّيلَ عنى هل أذوقُ رقادَه

وهل لِضلوعى مستقرٌ على فرشى

وذكر أبو بكر قال : مرَّ بعض الأطباء بحيهم ، فسأله أبو المجنون ما تعالج ؟ قال : أعالج كل مسحور مجنون ، قال : مكانك لآتيك بابن لى يهيم فى الصحراء . فخرجوا فى طلبه فما زالوا يطلبونه حتى قدروا عليه وأدخلوه إلى الطبيب ، وأقبل يسقيه ، فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول :

ألا يا طبيبَ الجنِّ ويحكَ داوِنى

فإنِّ طبيبَ الإنسِ أعياهُ دائيا

أتيتُ طبيبَ الإنسِ شيخاً مُداوِيا

بمكةَ يُعطى فى الدّواءِ الأمانيا

فقلتُ لهُ يا عمِّ حُكمكَ فاحتكم

إذا ما كشفْتَ اليومَ يا عمِّ ما بيا

فخاضَ شرابا بارداً فى زُجاجةٍ

وطرَّحَ فيه سَلوةً وسَقانيا

فقلتُ ومرْضَى الناسِ يسعوْنَ حولهُ
أعوذُ بربِّ الناسِ منكَ مُداوياً

فقال : شفاءُ الحبِّ أنْ مُتلصقَ الحشا
بأحشاءِ من تهْوَى إذا كنتَ خاليا

فقال : وايم الله عاشق ، ودواؤها أن يلصق الحشا بأحشاء من يهوى ، والمجنون يَعضُّ شفتيه ولسانه حتى خلّوه ، ثم نهض فمضى على وجهه ، فبينما هو يدور إذ رأى ناراً فى سفح أكمة فدنا منه فإذا هم قوم رعاة فقال :

رعاةَ الليل ما فعلَ الصَّباحُ ... وما فعلتْ أوائلهُ الملاحْ
وما بالُ الذين سبَوْا فؤادى ... أقاموا أم أجَدَّ بهم رواحْ
وما بالُ النجومِ مُعلَّقاتٍ ... بقلبِ الصبِّ ليس لها براحْ
كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى ... بليلَى العامريَّةِ أو يُراحْ
قطاةٌ غرَّها شركٌ فباتتْ ... تجاذبهُ وقد علقَ الجناحْ
لها فرخانِ قد تركا بقفرٍ ... وعشُّهما تصفقهُ الرِّياحْ
إذا سمعا هبوبَ الريحِ هبَّا ... وقالا أمُّنَا تأتى الرواحْ
فلا بالليلِ نالتْ ما ترجَّى ... ولا فى الصبحِ كانَ لها براحْ

رُعاةَ الليلِ كونوا كيف شئتمْ فقد أودَى بيَ الحبُّ المتاحُ

وقال أبو بكر : إن المجنون بينما هو ذات يوم فى أودية مصلة ، قد أسند ظهره إلى بعض الصُّوى(١) حزيناً كئيباً ، إذ مر به فارسان فنعيا إليه ليلى وقالا : مضت لسبيلها ، فخر المجنون مغشيًّا عليه ، فلما أفاق أنشأ يقول :

أيا ناعيَ ليلى بجانبِ هضبةٍ أمَا كان ينعاها إليَّ سِوَاكما
ويا ناعيَ ليلى بجانبِ هضبة فمن بعد ليلى لا أمرَّت قواكُما
ويا ناعيَ ليلى لقد هجتَما لنا تباريحَ نوحٍ فى الدِّيار كلاكُما
فلا عِشتما إلا حليفَ مصيبةٍ ولا مُتُّما حتى يطول بلاكُما
وأسلمتِ الأيامُ فيها عجائباً نبوءُ تُكما إنى أحبُّ رَدَاكما
أظنُّكما لا تعلمانِ مُصيبتى لقد حلَّ بينُ الوصلِ فيما أراكُما

قال : ثم مضى حتى دخل الحى بعد ما لم يكن يمر به إلا من بعيد ، فأتى أهل بيتها فعزّاهم فعزوه ، فقال دلونى على قبرها ، فلما عرفه رمى بنفسه على القبر والتزمه ، وأنشأ يقول :

---

(١) الصوى : جمع صوة ، وهى الصخور .

أيا قبر ليلىَ لو شهدناكَ أعولت
عليك نساءٌ من فصيحٍ ومن عُجْم

ويا قبر ليلى أكرمنَّ محلَّها يكن لك ما عشنا علينا بها نُعم
ويا قبرَ ليلى إنَّ ليلى غريبةٌ بأرضكَ لا خلٌّ لديها ولا عمّ
ويا قبرَ ليلى ما تضمنْت قبلها شبيهاً لليلى ذا عفافٍ وذا كرم
ويا قبرَ ليلى غابتِ اليوم أمُّها وخالتُها والحافظونَ لها الذِّمم

قال أبو بكر : ثم إنه كان يأوى إلى قبر ليلى ويدور نهاره حتى جف جلده على عظمه ، واشتدت بليته ، فمكث على ذلك دهراً ، ثم إن رجلا أحب لقاءه والنظر إليه وإلى ناحية نجد ، قال الرجل فلما صرت إلى بلدهم سرت إلى محلتهم ، فإذا أبوه شيخ كبير وحوله أبناءٌ ذوو أموال وهيئات ونعم ظاهرة ، فسألتهم عن المجنون فبكوا بكاء شديداً ثم قال الشيخ : كان والله أحسن هؤلاء ، وإنه عشق امرأة من قومه لم تكن فى المال مثله ، فلم أر تزويجها إياه ، وما أظن أنه يبلغ من حبها ما بلغ ، فلما تمادى به الحب طلبناها فمنعها أبوها ثم زوّجها غيره ، فحن ابنى بها وجداً فحبسناه وقيدناه ، فكان يعَض لسانه وشفتيه حتى كاد يقطعهما ، فلما رأينا منه ذلك خلينا سبيله فذهب

فى هذه الفيافى يرعَى مع الوحوش ويرِدُ المياه ونحن نبعث إليه كل يوم بطعام وشراب فيوضع له حيث يرى ، فإذا انتحى عنه الواضع جاء وأكل . قلت : فإنى أحب لقاءه فدلونى عليه ، قالوا اخرج إلى هذه الصحراء فإنك تصيبه هناك . قلت: إذا رأيته كيف أحتال للدنوّ منه؟ قالوا : فإذا رأيته فأنشده بعض شعر قيس بن ذريح ، فإنه معجب بشعره . قال الأعرابى : فذهبت فأصبته قاعداً يلعب بالتراب ، فجلست قريباً منه ، فأقبل يلاحظنى ساعة بعد ساعة ، فقلت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

وإنى لمن دمعَ عينىَ بالبكا حذاراً لِما قد كان أو هو كائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتى
بكفّىَ إلا أنّ ما حان حائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليةٌ فراقُ حبيبٍ بانَ أو هو بائنُ

قال : فبكى بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول :

لِصفراءَ فى قلبى من الحبّ شُعبةٌ
هوًى لم تُرِمهُ الغانيات صميمُ
به حلّ بيتَ الحبّ ثم انثنى به
فزالتْ بيوتُ الحىّ وهْوَ مقيمُ

ومَن يتهيَّض(١) حبُّهنَّ فؤادَه
يمُتْ ويعشْ ما عاش وهْو سقيمُ
فبَحَرٍ إن صاد أن يُذَد عن بردِ مشرب
وعن بللاتِ الماءِ وهْو يحومُ
بكتْ دارُهمْ من فقدِهم وتهللتْ دموعى فأىُّ الجازعيْن ألومُ
أهذا الذى يبكى من الهُوَن والبَلا
أم آخرُ يبكى شجوَه ويهيم
إلى الله أشكو حبَّ ليلى كما شكا إلى اللهِ فقْدَ الوالديْن يتيمُ
يتيمٌ جفاهُ الأقربون فعظمُه كسيرٌ وفقدُ الوالدينِ عظيمُ
أفى الحقِّ هذا أنَّ قلبكِ فارغٌ وقلبىَ مما قد أجَنَّ يهيمُ
إذا ذُكرتْ ليلى أنِنَّ لذكرِها كما أنَّ بين العائداتِ سقيمَ
علىَّ دماءُ البُدن إن كان حبُّها
على النأىِ فى طول الزمان يريمُ(٢)
دَعوْنى فما عنْ رأيكمْ كان حبُّها
ولكنه حظٌّ لها وقسيمُ

---

(١) يتهيض : يحطم .
(٢) يريم : يبرح وينقطع.

وقال أيضا :

لم تزل مُـــقلتى تفيضُ بدمعٍ
مِثل فيْض الغيوث مذ فقدَتْها
مُقلةٌ دمعُها حثيثٌ وأخرى كلما جفّ دمعُها أسعدتْها
ما جرَت هذه على الخدِّ حتى لحِقتْ تلك بالتى ســـبقتها
دمعةٌ بعد دمعـــةٍ فإذا ما لحِقتْ تلك هذه أحدرَتْها

قال الأعرابى : فأقسمت عليه أن ينشدنى بعض أشعاره ، فأنشد يقول :

لئن كثُرتْ رُقّابُ ليلى فطالما لهوْتُ بليلى ما لهنّ رقيبُ
وإنْ حالَ يأس دون ليـــلى فربما
أتى اليأسُ دونَ الشيءِ وهْو حبيبُ
ومنيتِنى حتى إذا ما رأيْتنى على شرَفٍ للناظرين قريب(١)
صددتِ وأشمتِّ العِداةَ بهجرنا أثابكِ فيما تصنعين مُشيبُ
أُبعِدُ عنكِ النفسَ والنفسُ صبّةٌ
بذكركِ والممشى إليـــكِ قريبُ

---

(١) شرف : مكان عال (والمراد هنا أنه قد يلتى بنفسه منه) .

مخافةَ أن تسعى الوشاةُ مَظنةً وإكرامُكم أن يستريبَ مريبُ
أمَا والذى يبلو السرائرَ كلَّها ويعلمُ ما تُبدى به وتغيبُ
لقد كنتِ ممنْ تصطفى النفسُ خِلةً
لها دونَ خِلانِ الصفاءِ حُجوبُ
وإنى لأستحييكِ حتى كأنما علىَّ بظهرِ الغيبِ منكِ رقيبُ
تلجين حتى يذهبَ اليأسُ بالهوى
وحتى تكادَ النفسُ عنكِ تطيب(١)
سأستعطفُ الأيامَ فيكِ لعلها بيومِ سرورى فى هواكِ تئوبُ

وقال أيضاً :

ألا هلْ طلوعُ الشمسِ يُهدى تحيةً
إلى آلِ ليلى أو دنوٌّ غروبها
أتُضرَبُ ليلى إن مررتُ بذى الغَضى
وماذنبُ ليلى إن طوى الأرضَ ذيبُها(٢)
أجلْ علىّ الرَجمُ إن قلتُ حبَّذا
غروبُ ثنايا أمِّ عمرو وطيبُها(٣)

---

(١) تلجين : تقسين .
(٢) ذى الغضى : موضع ، ذيبها : طالبها أو الذئب الذى يبحث عنها .
(٣) ثنايا : جمع ثنية وهى السن ، أم عمرو : كنية ليلى .

وقال أيضا :

فيا ليت ليلى وافقت كل حجةٍ قضاءً على ليلى وإنى رفيقُها
فتجمعُنا مِنْ نخلتين ثنيةٌ يغصُّ بأعضادِ المطِى طريقُها(١)
فألقاكِ عند الركنِ أو جانب الصفا
ويَشغلُ عنا أهلَ مكةَ سوقُها
فأنشِدُها أنَّ نحوِى الهونُ والهوَى
وتمنحُ نفساً طالَ مطلاً حقوقُها(٢)

قال : فلما فرغ انصرفتُ إلى الحى وحدثتهم بحديثه وما أنشدنى من شعره ، فقالوا لى : ويحك إن رجعت إليه فانظر عسى أن تأخذ قصيدته التى قالها فى الثمدين فقد جهدنا على نسخها فلم نقدر عليها ، قال الأعرابى : فمررت إليه ثانياً فلم أزل أطلبه حتى وجدته على قوز(٣) من الأرض قد كوّمته الريح كوما يخط بأصبعه فيه ، فدنوت وجلست إليه وهو يلاحظنى فقلت : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :

فواكبدى وعاوَدنى رواعى وكان فراق لبنى كالخداع

---

(١) ثنية : طريق (العقبة) يغص : يمتلىء ، أعضاد : جمع عضد وهو الساعد فى الإنسان .

(٢) الهون : الهوان ، مطلا : مماطله وتسويفا .

(٣) القوز : الكثيب وجمعه أقواز وقيزان .

تكنّفني الوُشاةُ فأزعجوني ... فيا لله للواشي المطاعِ
فأصبحتُ الغداةَ ألومُ نفسي ... على شيءٍ وليسَ بمستطاعِ
كمغبونٍ يعضُّ على يديه ... تبينَ غبنُهُ بعدَ البياعِ
إذا ما تُذكرينَ تحنُّ نفسي ... حنينَ الإلفِ يطرَبُ للسماعِ

قال المجنون : بلى والله، واستعبرَ حيناً ، ثم قال : أنا أشعر منه حيث أقول :

فوالله ثم والله إني لدائباً ... أُفكّرُ ما ذنبي إليكِ فأعجبُ
ووالله ما أدري علامَ هجرتني ... وأيَّ أمورٍ فيكِ يالَيلَ اركبُ
أأقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونهُ ... وأشربُ كأساً منكمُ ليس يُشربُ
أمْ أهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً ... أمْ أفعلُ ماذا أمْ أبوحُ فأغلبُ
فأيهما يا ليلُ ما تفعلينهُ ... فأوّلُ مهجورٍ وآخرُ متعَبُ
فلو تلتقي أرواحُنا بعد موتنا ... ومِنْ دونِ رمسيْنا من الأرضِ منكبُ(١)

(١) دون : بعد ، الرمس : تراب القبر ، منكب : المكتف .

لظلَّ صدى رَمسى وإنْ كنتُ رِمَّةً
لدى صوتِ ليلى يَهَشُّ ويطربُ

فإن لم أكن أشعر منه فى هذا ، فانا أشعر منه حيث أقول :

ألا يانسيمَ الريح حكمكَ جائرٌ عليَّ إذا أرْضيتنى ورضيتُ
ألا يا نسيم الريحِ لو أن واحداً من الناسِ يَبليه الهوى لبليتُ
فلو خُلط السمُّ الزُّعافُ بريقها تمصصتُ منه نهلةً ورويتُ

ثم قال : فإن لم أكن أشعر منه فى هذا فأنا أشعر منه حيث أقول:

وعارضنَ بالعقيان كلَّ مُفلَّجٍ
به الظَّلمُ لم تقْلِلْ لُهنَّ غروب(١)
رُضابٌ كريح المسكِ يحلو مُتونه
من الضَّرْو أو فرخِ البشامِ قضيبُ(٢)

ثم غشى عليه ، فلما أفاق قلت : أحسن والله قيس بن ذريح

---

(١) العقيان : الذهب الخالص . مفلج : متباعد ما بين الأسنان ، الظلم : بريق الأسنان وماؤها .

(٢) رضاب : بضم الراء ، الريق . متونه جمع متن وهو الظهر ، البشام : شجر طيب الريح يستاك به ، قضيب : غصن أو سواك .

حيث يقول :

تهبونى امرءاً إن تحسنوا فهو شاكرٌ
لذاكَ وإنْ لمْ تحسنوا فهوَ صافحُ
فإنْ يكُ أقوامٌ أشاروا بقتلها فإنّ الذى بينى وبينكِ صالحُ
فما وَجدَتْ وجدى بِها أمُّ واحدٍ
بواحدها ضُمَّتْ عليهِ صفائحُ
وَجدتُ بها وَجْدَ المُظَلِّ رِكابهُ
بمكةَ والرُكبانُ غادٍ ورائحُ

فقال: أنا أشعر منه حيث أقول :

وأدنيتِنى حتى إذا فتنتنى
بقولٍ يُحلُّ العصمَ سهلِ الأباطح
تجافيتِ عنى حتّى لا لىَ حيلة
وغادرتِ ما غادرتِ بينَ الجوانحِ

فقلت : سألتك بحق قبر ليلى أن تنشدنى قصيدتك التى قلتها فى الثمدين ، وقد كنت أخذت معى دواة وقرطاسا ، فأنشد :

تذكرتُ ليلى والسنينَ الخواليا وأيامَ لا نخشى على اللهوِ ناهيا
ويومٌ كظلِّ الرمحِ قصَّرتُ ظلَّه
بليلى فلهّانى وما كنت لاهيا

بشمدَينَ لاحتْ نارُ ليلى وصحبتى
بذاتِ الغضَى تُزجى المطِىَّ النَّواحيا
فقال بصيرُ القومِ لمحتُ كوكباً
بدا فى سوادِ الليلِ فرداً يمانيا
فقلتُ لهُ بل نارُ ليـــلى توقدتْ
بعليَا تسامى ضوءُها فبدا ليـا(١)
فليتَ ركابَ القومِ لمْ تقطع الغضَى
وليتَ الغضَى ماشَى الرِّكابَ لياليا(٢)
فيا ليلُ كم من حاجةٍ لى مُهمةٍ
إذا جئتـــكم بالليل لمْ أدر ما هيـــا
خليلىَّ إنْ لا تبكيانى ألتمسْ
خليلاً إذا أنزفتُ دَمعى بكى ليـــا
فما أشرفُ الأبقاعَ إلا صبابةً
ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداويا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتينِ بعـــدما
يظنانِ كلَّ الظنِّ أنْ لا تلاقيا

---

(١) عليا : علياء مكان عال ، تسامى : ارتفع .
(٢) الغضَى : شجر : (أو موضع به شجر) .

لحا الله أقواماً يقولون إننا
وجـــدنا طوالَ الدهر للحبِّ شافيا

وعهدى بليلى وهْىَ ذاتُ مؤصَدٍ
تَرَدُّ علينا بالعشِّـى المواشيا(١)

فشبَّ بنوُ ليلى وشبَّ بنو ابنها
وأعلاقُ ليلى فى فؤادى كما هيا

إذا ما جلسنا مجلساً نستلذهُ
تواشوْا بنا حتى أملَّ مكانيا

سقَى اللهُ جاراتٍ لليلى تباعدت
بهنَّ النَّوى حيثُ احتللن المطاليا

ولم يُنسنى ليلى افتقارٌ ولا غنى
ولا توبةٌ حتى احتضنتُ السواريا

ولا نسوةٌ صبغنَ كيداءَ جلعدًا
لتشبهَ ليلى ثم عرضنها لِيا(٢)

خليلىَّ لا والله لا أملكُ الذى
قضى الله فى ليلى ولا ما قضى ليا

---

(١) مؤصد : فناء .
(٢) كيداء : رأس مكشوفة . جلعد : لا تستتر .

قضاها لغيرى وابتلانى بحبها

فهلاّ بشىءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

وخبرتمانى أنّ تيماءَ منزلٌ

لليلىَ إذا ما الصّيفُ ألقى المراسيا

فهذى شهور الصيفِ عنّا قد انقضت

فما للنوى ترمى بليلى المراميا

فلو أنّ واشٍ باليمامة دارُه

ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسنَ اللهُ حالهم

من الحظّ فى تصريم ليلى حباليا

وقد كنتُ أعلو حُبّ ليلى فلم يزل

بىَ النقضُ والإبرامُ حتى علانيا

فيا ربّ سَوِّ الحبّ بينى وبينها يكونُ كفافاً لا علىّ ولا ليا

فما طلع النجمُ الذى يُهتدى به

ولا الصبحُ إلا هيّجا ذكرَها ليا

ولا سِرتُ مِيلاً من دمشقَ ولا بدا

سُهيلٌ لأهل الشام إلا بدا ليا

ولا سمّيتُ عندى لها من سميةٍ من الناسِ إلا بلّ دمعى ردائيا
ولا هبتُ الريح الجنوب لأرضها من الليل إلا بتُّ للريح جانيا
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادَها علىّ فلن تحموا علىّ القوافيا
فأشهدُ عند الله أنى أحبُّها فهذا لها عندى فما عندها ليا
قضى اللهُ بالمعروف منها لغيرِنا وبالشوق منى والغرامِ تضى ليا
وإن الذى أمّلتُ يا أمّ مالك
أشابَ فُودَىّ(١) واستهان فؤاديا
أعُدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ
وقد عشتُ دهراً لا أعدُّ الياليا
وأخرُجُ من بين البيوت لعلنى
أحدِّثُ عنكِ النفسَ بالليل خاليا
أرانى إذا صليتُ يممتُ نحوَها بوجهى وإن كان المصلّى ورائيا
وما بِىَ إشراكٌ ولكنّ حبَّها
وعُظمَ الجوَى أعيا الطبيبَ المدوايا
أحبُّ من الأسماءِ ما وافق اسمها أو اشبههُ أو كان منه مدانيا
خليلىَّ ليلى أكبرُ الحاجِ والمنى فمن لى بليلى أو فمن ذا لها بيا

---

(١) فود الرأس : جانباه .

لعَمرى لقد أبكيتنى يا حمامةَ العقيـ
ـق وأبكيتِ العيونَ البواكيا
خليلىَّ ما أرجو من العيْش بعدَما
أرى حاجتى تُشرى ولا تشترَى ليا
وتجـــرِمُ ليلى ثم تزعُم أننى
سلوتُ ولا يخـــفى على الناس ما بيا
فلمْ أرَ مثلينا خليلىْ صبابةٍ أشدَّ على رغم الأعادى تصافيا
خليلانِ لا نرجو اللقاءَ ولا نرى
خليلين لا يرجون أن لا تلاقيا
وإنى لأستحيِيكِ أن تعرضَ المنى
بوصلكِ أو أن تعـــرضى فى المنا ليا
يقولُ أناسٌ علَّ مجنونَ عامرٍ يروم سُلوًّا قلتُ أنَّ لما بيا
بىَ اليأسُ أو داءُ الهيام أصابنى
فإياكَ عـــنى لا يكنْ بك ما بيا
إذا ما استطال الدهرُ يا أمَّ مالكٍ
فشـــأنُ المنايا القاضياتِ وشانيا
إذا اكتحلتْ عينى بعينك لم تزلْ
بخيرٍ وحلَّتْ غمرةٌ عن فؤاديا

فأنتِ التى إن شئتِ أشقيت عيشتى
وأنت التى إن شئت أنعمت باليا
وأنت التى ما من صديقٍ ولا عِدا
يرى نضوَ ما أبقيتِ إلا رثى ليا
أمضروبةٌ ليلى على أن أزورها
ومُتخـــذٌ ذنباً لها أن ترانيا
إذا سرتُ فى الأرض الفضاءِ رأيتُنى
أصانعُ رحْلى أن يميـــلَ حِياليا
يميناً إذا كانت يمينا وإن تكن شمالا ينازعُنى الهوى عن شماليا
وإنى لأستغشى وما بى نعسةٌ لعل خيالاً منك يلقى خياليا
هى السحرُ إلا أن للسحر رُقية وإنى لا ألْقى لها الدهرَ راقيا
إذا نحنُ أدلجنا وأنتِ أمامنا كفى لمطايانا بذكراكِ هاديا
ذكتْ نارُ شوقى فى فؤادى فأصبحت
لها وهـــجٌ مستضرَم فى فؤاديا
ألا أيها الركبُ اليمانون عرِّجوا
علينا فقـــد أمسى هوانا يمانيا
أسائلكم هل سالَ نعمانُ بعدنا وحُبَّ إلينا بطنُ نعمانَ واديا
ألا يا حمامَ بطنِ نعمانَ هجتما علىَّ الهوى لمّا تغنيتما ليا

وأبكيتماني وسط صحبي ولم أكن
أبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

ويا أيها القُمريتان تجاوَبا بلحْنيكما ثم اسْجعا عَللانيا
فإن أنتما استطربتما أوْ أردتما لحاقاً بأطلالِ الغضى فأتبعانيا
ألا ليتَ شعرى ما ليْلى وما ليا وما للصبا من بعد شيبٍ علانيا
ألا أيها الواشى بليلى ألا ترى إلى من تشيها أو لمن أنت واشيا
لئن ظعن الأحبابُ يا أمَّ مالكٍ فما ظعنَ الحبُّ الذى فى فؤاديا
فيا ربِّ إذْ صيرتَ ليلى هىَ المنى فزِنِّى بعينيها كما زنتها ليا
وإلا فبَغضها إلىَّ وأهلها فإنى بليلى قد لقيتُ الدواهيا

على مِثل ليلى يقتلُ المرء نفسه
وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا

خليلىَّ إن ضنُّوا بليلى فقرِّبا
لىَ النعشَ والأكفانَ واستغفِرا ليا

قال الأعرابى : فلما أتم هذه القصيدة ظهرت له ظبية فوثب فى طلبها والتفت إلىَّ وقال : السلام عليك فما أراك ترانى بعد هذا أبدا .

قال الأعرابى : ثم مضيت إلى الحى فأخبرتهم خبره وأنشدتهم قصيدته فكتبوها ، فلما كان من الغد بكرت إليه وطلبته فلم أقدر عليه

فانصرفت إلى الحي وأعلمتهم ، فقام إخوته وبنو عمه وأهـــل بيته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل إذا نحن به ميتا ، وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

توسَّدَ أحجارَ المهامه والقفـــر
ومات جريحَ القلب مندملَ الصدرِ
فيالَيت هذا الحبَّ يعشق مرةً فيعلمَ ما يلقَى المحبُّ من الهجر

فرثيناه وعلت أصـــواتنا بالبكاء وحملناه إلى الحي ، فبكى عليه الغريب والقريب وكل من سمع باسمه يوما ، ثم غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمهما الله تعالى .

قال أبو بكر : لما مات الملوّح أبو المجنون ، بلغه ذلك ، فأتى قبره وكانت له ناقة فنحرها على قبره ، وكانت العرب هذا شأنها تفعل ذلك إذا مات منهم أحد ، وأنشأ يقول :

عقرْتُ على قبرِ الملوّح ناقتي بذي الرمثِ لما أن جفاه أقاربُه
فقلتُ لها كوني عَقـــيراً فإنني
غداةَ غَدٍ ماشٍ وبالأمس راكبهْ

فلا يُبعدَنَّك اللهُ يا ابن مُزاحمٍ
فكلُّ امرىءٍ للموتِ لا بدَّ شاربُه

قال أبو بكر الوالبي ، رحمه الله تعالى: هذا جملة ما تناهى إلينا من أخبار المجنون وأشعاره، وما كان منحولا من قصيدة أو خبر أعرضنا عن كتبه . والله سبحانه وتعالى أعلم .

بحمد الله تعالى تم طبع كتاب ديوان قيس بن الملوّح
الشهير بمجنون ليلى العامرية
بمعرفة مكتبة الآداب (على حسن) ومراجعاً على عدة نسخ
وذلك بالمطبعة النموذجية ٦ سكة الشابورى الحلمية الجديدة القاهرة
وذلك يوم الخميس أول يناير ١٩٨٧م الموافق أول جمادى الأولى ١٤٠٧هـ
والله ولى التوفيق

١٤٠٩ هـ — ١٩٨٨ م

الثمن ١٢٥ قرشاً